مَدرَسَة الزوجَات

أشخاص المسرحية

أَرْنولْف : المعروف ايضاً باسم السيد دي لاسوش.
أَغْني : فتاة بريئة ربّاها أَرْنولْف.
هوراس : عاشق أغْني.
آلان : فلاح، خادم أَرْنُولْف.
جورجيت : فلاحة، خادمة أَرْنولْف.
كريزالد : صديق ارنولف.
أَلْريك : زوج أخت كريزالْد.
أُورونْتْ : والد هوراس وصديق ارْنولْف الحميم.
الكاتب العدل :

الأحداث تجري في ساحة إحدى مدن فرنسا.

الفصل الأول

المشهد الأول

كريزالْد وأزْنولْف.

كريزالْد : هل أتيت لتقترن بها ؟
أزْنولْف : نعم، أريد أن أبتّ في الأمر غداً.
كريزالْد : نحن هنا وحدنا، ويتسنّى لنا أن نتحدّث بحرية، فهل تريد أن أصارحك في شؤونك كصديق ؟ ان مشروعك يخيفني، وكيفما عالجت الموضوع، لا يغربْ عن بالك أن مسألة الزواج غير سهلة.
أزْنولْف : صحيح، يا صديقي، انك تجد صعوبات ومحاذير في تحقيق مشروعي، لأنك لا تغفل عمّا يخبّئه الزواج من عقبات وربما من خيانات.
كريزالْد : هذه مغامرة ليست مأمونة العواقب، وأرى من الحماقة ان لا تأخذ الاحتياطات اللازمة وتحسب لكل حالة الف حساب. فإنّ أبغض ما اخشاه في قضيتك هو أن يحلّ بك ما يشكو منه مئات الأزواج. وأنت تعلم جيداً ان الكبار والصغار لا يسلمون من الوقوع في الشراك المنصوبة لهم، ما دام هناك مئات من المؤامرات تحاك باستمرار في الخفاء. وكم في الدنيا من زوج مقهور مغلوب على امره، كما هو الحال في محيطنا، يجمع المال بشقّ النفس فتبدّده زوجته على من تدعه يتسلّل الى فراشها خلسةً. وكم من زوجة تتظاهر بالعفة والأمانة وتقبل هدايا عاشقها أو عشّاقها، مدّعية انها تنالها تقديراً على فضائلها، فيصدّقها زوجها بطيبة خاطر ليتفادى المشاكل. وكم غيره يترك

الأمور تأخذ مجراها عندما يرى غريمه داخلاً الى منزله، فيتناول معطفه وقبعته ويخرج ليتجنب الفضائح. وكم غيرها تكذّب بمهارة ما تتهم به من تهوّر ظاهر في وصال حبيبها، فيصدّقها زوجها الأمين ليتحاشى القلاقل والمشاجرات. وذاك الزوج الذي تبذّر زوجته أموالاً قبضتها بالحرام، ويعلن على سبيل التمويه أنها ربحتها في اللعب. على كل حال، موضوع هذه التجاوزات والتماديات لا ينحصر، ويجعل الناس يتسمون لدى سماعهم الحجج الباطلة التي يتذرّع بها اصحابها. وهل يمكن أن يكون لهذه الانحرافات من محاسب أو رقيب ؟ ...

كريزالْد : نعم، لكن من يغربل الناس ويهزأ بهم يخشى أن يأتي دوره يوماً لينخله الناس ويسخروا منه. فأنا أسمع ما يقوله الجميع وكيف يتندّرون بما يرون حولهم من مشاهد ويسمعون من حكايات. ومهما أُذيع من شائعات لا أصدّق حرفاً منها. لأني نزيه لا أدين بعض التجاوزات التي لا يرضى عنها معظم الأزواج كي يُغفلوها، إذ يخشون أن تنقلب الآية وتقع الملامة على من لا يستحقّها. وأنا لا أتمنى أن أكون من فئة الرجال الذين يرضون بأن يتألموا بصمت وهدوء، ولا يبوحون بسرّ تعاستهم وشقائهم. وقد لاحظت بوضوح أن البعض يضحكون سرّاً والبعض يتغاضون ويأسفون على ما قد يكون إنصافاً للمغبون. فلا تتهم الأزواج المتألمين الذين لا ترحمهم الألسنة الطويلة في ما ينوبهم عن غير استحقاق من لوم وتنديد علينا ان نتصرّف باستقامة كي لا نقع فريسة النميمة وضحية ما قد نقدم عليه في زاوية متوارية أو على قارعة الطريق أحياناً.

أَرْنولْف : لا تندب حظك، يا صديقي. فمن يستطيع أن يمسك بي وأنا متلبس بالجرم المشهود يتعلم كيف يستفيد من زلّتي ليسير في الطريق القويم ويبتعد عن الأماكن المشبوهة حيث يتفنّن المفسدون في استثمار أهواء النساء والرجال. ولكي لا أقع في مثل هذه الأفخاخ المنصوبة ببراعة للمستهترين إتّخذت الحيطة اللازمة لاتقاء شرّ السقوط في التجربة. ولأن الفتاة التي أنوي أن أقترن بها بريئة عفيفة، لا سبيل لإلقاء أي لوم على سلوكها وسلوكي الشريف بعد الزواج.

كريزالْد : ومن هي صاحبة الحظ السعيد التي تشير اليها ؟
أَزْنولْف : اذا اقترنت أنا بحمقاء، لا سمح الله، فهذا ليس بدليل على أني أحمق مثلها. وفي اعتقادي أني حريص على اختيار فتاة عاقلة رصينة. لأن المرأة الحاذقة قد تسبّب المشاكل. وأنا أعرف بعض الرجال الذين جلبوا المتاعب لأنفسهم حين مالوا الى نساء أدهى مما يتصورون. بينما أنا أفضّل أن أرتبط بزوجة رزينة لا تتحدّث عن منتديات الأحبّة ولقاءات العشّاق، بأسلوب منمّق، وتأتي على وصف الأفراح والليالي الملاح. فأكون هكذا زوجاً عاقلاً محترماً. انا لا أرغب في من تدّعي المعرفة وتظنّ ذاتها متفوّقة، كي لا اسمع منها ما لا يرضيني، بل أريدها أن تشيد بفضائلي وأفضالي ومهارتي وحسن تصرّفي. لأني لا أطلب من المرأة الصالحة سوى حلو الكلام والتضرّع الى الله والطبخ والخياطة وسائر الأعمال المنزلية.
كريزالْد : لا تنسَ ان المرأة البليدة عبء ثقيل على زوجها.
أَزْنولْف : في الحقيقة، أنا أحبّذ ان تكون زوجتي بلهاء وبشعة، وأن لا تكون حسناء كثيرة الفطنة والفتنة ومستبدّة طاغية.
كريزالْد : لكن بين انفتاح الذهن وجمال الخلقة، ماذا تفضّل ؟
أَزْنولْف : لا شك في أن الشهامة تغني عن الاثنين.
كريزالْد : كيف تريد بعد كل هذا ان يصبح النذل شريفاً والسفيهة فاضلة ؟ هل يسعك أن تثق بها وتأمن جانبهما ؟ قد تنزلق المرأة الذكية الى ارتكاب الخيانة احياناً، اذا تجاسرت على خلع العذار. اما البليدة الطبع فإنها لا تحجم عن اتيان المنكرات في أغلب المناسبات رُبّما بدون قصد وتصميم.
أَزْنولْف : انا لا أجد حججك سديدة: فقد قال بنْتاكْروَال لبانورْج : « متّعني بعطف المرأة ولو كانت حمقاء ». ومهما وعظتني ونصحتني ستتعجّب في نهاية المطاف كيف انك لم تتوصل الى اقناعي.
كريزالْد : لن أضيف حرفاً واحداً على ما سبق وبيّنته لك.
أَزْنولْف : كل انسان له خطّة يتبعها في هذه الدنيا. وفي موضوع المرأة ارى أن خبرتي كافية لأختيار شريكة حياتي التي ارجو أن تكون متواضعة وطيّعة ومن اسرة مشكورة، لطيفة المعشر مُحبّة ونظير والدتها طيّبة السمعة، وإن لم

تكن ثريّة. وهكذا آمل ان ارتاح الى العيش بقربها. وأفضّل ان تكون قد ربيت في وسط يشابه محيطي اما الغنيّة فلا سمح الله ان تكون من نصيبي لأنها عبء ثقيل على عاتق من يرضى بأن تكون زوجته. فكما يقول : المثل خير الأمور أوسطها، أودّ أن تكون رفيقتي راغبة في العيش البسيط، البعيد عن التصنّع والتكلّف. وإن سألتني لماذا أُعدّد كل هذه الأوصاف، أجيبك لأني أتمسّك براحة بالي وبالابتعاد عن المشاكل في حظيرة الزواج الضيقة. أخيراً، أدعوك هذا المساء، يا صديقي، لتتعشّى معي على مائدة من إختارها قلبي، لكي توقن بأن قراري في محله واني لن أندم في مستقبل الأيام على ما نويت أن أقدم عليه قريباً.

كريزالْد : اني أقبل دعوتك.

أرْنولْف : وهكذا يسعك أن تحكم على براءتها وسلامة ذوقي.

كريزالْد : من هذا القبيل، لا أظنني أُخطئ في الحكم على واقع الأمر.

أرْنولْف : ستلمس لمس اليد صحّة اختياري وستُعجب بأخلاقها الحميدة، كما هو حالي انا طبعاً، وإن كانت في بعض الأحيان تطرح أسئلة ساذجة مضحكة مثلما بدر منها ذات ليلة حين استفهمتْ عن مجيء الأطفال الى هذه الدنيا إن كانوا يأتون عن طريق الأُذُن.

كريزالْد : هذا فعلاً دليل دامغ على بساطة تفكيرها، يا سيد أرنولف.

أرْنولْف : أرجوك، يا عزيزي، أن لا تدعوني ابداً بهذا الاسم.

كريزالْد : إطمئن بالا، يا صاح. إن لساني لا يقصد ابداً أن يتلفّظ به، ولن يخطر ابداً ببالي إلّا أن أدعوك السيد دي لا سوش. بربّك، قل لي ماذا يدفعك وانت في الثانية والأربعين من العمر الى تبديل اسمك ؟ فأنت طوال مدة معرفتي اياك لم اسمع باسمك النبيل هذا الّا منذ عهد قريب.

أرْنولْف : انا أعلم جيداً انّه انتساب الى الطبقة العليا من القوم، ويعجبني كثيراً سماعه. لذلك أفضّل اسمي الثاني.

كريزالْد : أنا لست من أنصار تغيير الانسان اسم آبائه وأجداده، لأنه بهذا التصرف يتنكّر لأصله. وعلى سبيل المثال هناك فلاح اسمه بطرس الضخم، وهو لا يملك سوى قطعة ارض صغيرة، شاء ان يحفر حولها خندقاً، فامتلأت

الحفرة بالأوحال. لذا إتّخذ هذا الفلّاح اسماً جديداً ودعى ذاته بإسم فخم يمتّ بالنسب الى « آل الجزيرة ».

أرْنولْف : يمكنك أن تنسى هذا التبديل. فإن اسم دي لا سوش هو الذي أُعرَف به منذ زمن بعيد، وإني افضل الآن ان أتكنّى به.

كريزالْد : انا لا أجد غضاضة في أن ادعوك كما تشاء. المهم أن يدعوك كذلك سائر الناس.

أرْنولْف : وأنا لا يهمني كثيراً رأي سواي، بل يسرّني ان تقبله انت ...

كريزالْد : إطمئن بالاً. اني سأعتاد على تسميتك به ولن ادعوك بعد الآن إلا السيد دي لا سوش.

أرْنولْف : وداعاً. سأطرق هذا الباب لأُعلِم أصحابه بأني عدت مؤخراً من رحلتي، فاعذرني.

كريزالد (يكمل طريقه) : تصرّفه المنحرف لا يدهشني، لأني عرفته دائماً غريب الأطوار.

أرْنولْف : لا بد له من أن يكون قد امتعض من رأيي. كل انسان يتمسّك بما يعجبه ... يا هذا ...

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : مَن الطارق ؟

أرْنولْف : إفتح لي. ستسرّك مشاهدتي بعد غيابي الذي دام عشرة ايام.

آلان : من القادم ؟

أرْنولْف : انا.

آلان : يا جورجيت.

جورْجيت : مَن المتكلّم ؟

آلان : هيّا إفتحي الباب.

جوزْجيت : هيّا بنا.
آلان : انا هنا.
جوزْجيت : بذمّتي، لن أفتح.
آلان : وانا ايضاً لن أفتح.
أرْنولْف : ما هذا الكلام ؟ أتريدان أن تتركاني خارجاً ؟ هيا أسرعا وافتحا الباب.
جوزْجيت : لكن مَن الطارق ؟
أرْنولْف : سيدكِ.
جوزْجيت : مَن، سيدي آلان ؟
آلان : ماذا تقول ؟
جوزْجيت : إفتح بسرعة.
آلان : لا، إفتحي أنتِ.
جوزْجيت : أنا أطفأت قنديلي.
آلان : وانا لا أفتح مخافة ان يخرج عصفوري الدوري من قفصه فتلتقطه هرّتي وتقضي عليه.
أرْنولْف : من منكما يتمنّع عن فتح الباب سيُحرم من الطعام طوال أربعة أيام.
جوزْجيت : كيف تريد أن تسبقني عندما أبادر أنا الى فتح الباب ؟
آلان : لماذا تسبقينني انتِ الى ذلك ؟ لماذا تلجإين الى الخداع والنفاق ؟
جوزْجيت : هيّا إنسحبْ من هنا.
آلان : بل إنسحبي أنتِ.
جوزْجيت : أنا أريد أن أفتح الباب.
آلان : وأنا أيضاً أريد أن أفتحه.
جوزْجيت : لن تفتحه أنت.
آلان : ولا أنتِ.
جوزْجيت : ولا أنتَ ايضاً.
أرْنولْف : لقد فرغ صبري. ماذا تنتظران كلاكما لتفتحا ؟
آلان : على الأقلّ، انا يا سيدي ...

جوزْجيت : انا خادمتك، وأنا أريد أن ...
آلان : مع كل احترامي لك، يا سيدي الواقف خارجاً، أودّ أن ...
ارنولف (يتلقّى ضربة من آلان) : تبّاً لك، يا أحمق.
آلان : ارجوك أن تسامحني.
أرْنولْف : ما أغباك، أيها الأبله.
آلان : هي ايضاً، يا سيدي ...
أرْنولْف : أصمتا كلاكما. هيّا أجبني، يا آلان، بدون مواربة، كيف حال الجميع هنا ؟
آلان : يا سيدي، نحن ... يا سيدي نحن بحالة ... نشكر الله، نحن ...
(ينتزع ارنولف القبعة ثلاث مرات عن رأس آلان).
أرْنولْف : من علّمك، ايها البليد، ان تكلّمني والقبعة على رأسك ؟
آلان : الحق معك. أنا مخطئ.
ارنولف (لآلان) : دع « أغني » تنزل الى هنا. (لجورجيت) هل كانت حزينة حين غادرتها انا منذ بضعة أيام ؟
جوزْجيت : كلّا، لم تكن حزينة.
أرْنولْف : ألم تكن كئيبة ؟
جوزْجيت : كلا.
أرْنولْف : ولماذا ؟
جوزْجيت : لأنها كانت، تنتظر رجوعك عاجلاً. وكلما مرّ أمامنا حصان أو حماز أو بغل ظنّت أنك عائد.

المشهد الثالث

أغني، وآلان، وجورجيت، وارنولف.

أرْنولْف : يسرّني أن أراكِ منكبّة على العمل، وشغلك في يدك. ها أنا قد رجعت، يا أغني. فهل يفرحك حضوري ؟

أغْني : اجل، يا سيدي. أحْمد الله على سلامتك.
أرْنولْف : وانا مبتهج بمشاهدتكِ. أرى أنك في هذه المدة كنت تتمتعين بالصحة التامة.
أغْني : كل أموري على ما يرام، ما عدا البراغيث التي ضايقتني اثناء الليل.
أرْنولْف : سأرسل بعد كم يوم مَن يطردها عنك.
أغْني : اشكرك على ذلك.
أرْنولْف : لا شكر على الواجب. ماذا تفعلين الآن ؟
أغْني : انا اصنع قبعة لي، وقد أنهيت قميص نومك وكذلك ألقبعة التي ترتديها ليلاً.
أرْنولْف : حسناً فعلتِ. هيا إصعدي الى غرفتك. سأعود بدون تأخير، وأنوي أن أفاتحك بقضيةٍ هامة تفرحك. (بعد دخول الجميع). الي اتحداكنّ يا بطلات كل الأزمنة. ايتها السيدات العالمات الغائصات في الحنوّ والعواطف الرقيقة. وأنا أتحدّى كلَ ما يخصّكنّ من أشعار وروايات وأدب ورسائل لطيفة وكل ما أكتسبتنّ إجمالاً من علم يبعدكنّ عن قباحة الجهل، وما تحلّيتنّ به من شرف وحياء.

المشهد الرابع

هوراس وارنولف.

أرْنولْف : ليس بالمال وحده يتسنى للمرء ان يبهر المجتمع. المهمّ أن يكون متشبّثاً بالشرف الرفيع. ماذا ارى ؟ هل أنت موافق على ما اقول ؟ اني لا اخطئ في أحكامي. أجل، انه هو بذاته.
هوراس : سيدي أرْ ...
أرْنولْف : أهذا أنت، يا هوراس ؟
هوراس : وانت، يا ارنولف ؟
أرْنولْف : ما أشد ابتهاجي برؤياكم. منذ متى أنت هنا ؟

هوراس : منذ تسعة أيام.
أَرْنولْف : أصحيح ما تقول ؟
هوراس : لقد ذهبت الى منزلك ولم أجدك هناك.
أَرْنولْف : كنت مسافراً الى الريف. متى عرّجتَ عليّ ؟
هوراس : منذ يومين فقط.
أَرْنولْف : كم ينمو ويكبر الأولاد خلال أعوام قليلة. أنا مُعْجب به كما أراه الآن. وقد شاهدته آخر مرة حين كان طوله بهذا المقدار فقط.
هوراس : الأعوام تمضي بسرعة.
أَرْنولْف : لكن، قل لي ماذا يفعل والدك أُورونت، صديقي العزيز الذي اكنّ له كل تقدير ومودّة ؟ وكيف يقضي أوقاته ؟ ألا يزال نشيطاً ؟ هو يعلم جيداً أن كل ما يهمّه يهمّني انا ايضاً. ها قد مضت أربعة أعوام بدون أن يشاهد أحدنا الآخر وبدون أن نتراسل.
هوراس : إطمئن، يا مولاي أرنولف، إنه سعيد اكثر منّا. وها قد بعث اليك بهذه الرسالة. إعلم أنه كتب اليّ مؤخّراً يخبرني بقدومه قريباً إلينا بدون أن يوضح لي سبب زيارته. هل دريت بأن أحد مواطنينا عاد الى هذه الديار بثروة طائلة بعد رحيله الى أميركا منذ اربعة عشرة سنة.
أَرْنولْف : لا، لم أعلم بذلك. هل تعرف ما اسمه ؟
هوراس : أنْريك.
أَرْنولْف : لا.
هوراس : حدّثني والدي عن عودته، فبتُّ كأني أعرفه منذ زمن بعيد. ولقد زوّدَتْني رسالته بكثير من المعلومات الهامّة عن هذا المغترب الغني.
أَرْنولْف : يسرّني جداً ان اراه. وسأبذل جهدي لاستقباله أحسن استقبال. (بعد ان قرأ الرسالة) : لا بدّ للأصدقاء من كتابة الرسائل بأقلّ كلفة، اذ لا لزوم لكل هذه اللياقات، ولا موجب لتوصيتي كي أكرم وفادته بكل امكاناتي.
هوراس : من عادتي ان أجعل الناس يتقيّدون بأقوالهم. لذا أعلمك بأني بحاجة حالياً الى مئة ليرة.
أَرْنولْف : بذمّتي، يسرّني ان أخدمك وأتمنّى لو كان هذا المبلغ الكبير

بحوذتي. لذا تراني لا أبخل عليك بما تحويه محفظتي من مبلغ ضئيل لا يفي بالمرام.

هوراس : لا بدّ ...

أَرْنولْف : دع عنك الإعتراض، وقل لي كيف وجدت هذه المدينة ؟

هوراس : آهلة بالسكان، رائعة البنيان، غاصّة بالملاهي، يلذ لكل فرد ان يتصرّف فيها على هواه. مع ذلك يقتضي لأهل المجون هنا أن يقنعوا بالقليل. لأن ربّات الغنج والدلال من سمراوات وشقراوات لسْنَ سهلات المنال، وإن كان الأزواج الخبثاء يتركون لهن الحبل على الغارب. لذا يستطيع المرء ان يرفّه عن نفسه كأمير وسط هذه الحاشية التي لا تحرم ذاتها في أغلب الأحيان من مباهج الحياة. لا سيما وأنت ميسور الحال مليء الجيوب بالمال الوفير، فلا يصعب عليك استمالة قلوب أوفى النساء.

هوراس : لا اخفي عنك الحقيقة. والصداقة تقضي بمصارحتك بأني عاشق متيّم غائص في بحر الهوى.

أَرْنولْف : ها هوذا خبر سعيد يفرحني.

هوراس : ارجوك أن تكتم الأمر في سرّك.

أَرْنولْف : كن مطمئنّ البال من هذا القبيل.

هوراس : انت لا تجهل أن السرّ متى تجاوز الاثنين شاع. لذا أصرّح لك بأني احببت فتاة فاتنة أسرتْ قلبي الذي وجد لديها بعض التجاوب، لأنها هي ايضاً تكنّ لي ميلاً قرأت حروفه المنوّرة في لحظ عينيها.

ارنولف (**يضحك**) : ومن هي ؟

هوراس (**يريه منزل أغني**) : ها هوذا بيتها، وقد إحمرّت جدرانه عنها خجلاً. هي صبيّة رشيقة القوام، جميلة ساحرة، جذّابة الملامح، مشرقة الوجه، براقة العينين، تُدعى « أغْني ».

ارنولف (**على حدة**) : ما أتعسني وأشقاني.

هوراس : والدها يُدْعَى زوس أو سوزْس، لست ادري بالضبط. وهو رجل واسع الثراء، غير أنه كما قيل لي، ليس بخارق الذكاء. فهل تعرفه ؟

ارنولف (**على حدة**) : يا للمصيبة.

هوراس : ما لك صامت لا تجيب ؟

أَرْنولْف : نعم، أنا أعرفه.

هوراس : هل هو مهووس، كما بلغني ؟

أَرْنولْف : ربما.

هوراس : ماذا تقول ؟ اذاً هذا صحيح. يا خيبة أملي. يقال كذلك أنه غيور وأحمق. فإن كان هذا صحيحاً أيضاً، فهناك الطامة الكبرى. لكن إبنته أغْني اللطيفة عرفت كيف تأسر قلبي. إنها في الحقيقة جوهرة نادرة لا تُقدّر بثمن. ولا أخفي عنك أني أعتبر جرماً فاضحاً أن يُترك حُسْنها الباهر في عهدة رجل كهذا غريب الأطوار. أمّا أنا فكل امنيتي وحلمي الرائع هو ان أحصل عليها. وما المبلغ الذي طلبت منك أن تقرضني اياه، إلّا ليساعدني على تحقيق امنيتي بالاقتران بها. فالمال كما تعلم هو مفتاح جميع الأبواب الموصدة المستعصية. وهذا الأصفر الرنان، في الحبّ كما في الحرب، يسهّل احتلال امنع الحصون والقلوب. ازاك تستمع اليّ بكآبةٍ ظاهرة، أَفَلا ترى رأيي في هذا المشروع العزيز على مهجتي ؟

أَرْنولْف : لا، لا، بل كنت أفكّر.

هوراس : أظن أن هذا الموضوع لا يسرّك كثيراً. الوداع. سأعود اليك في فرصة أخرى.

أَرْنولْف : لماذا أنت مستعجل هكذا ؟

هوراس (**يعود**) : أرجوك مرة ثانية أن تكتم تصريحي لك في سرّك، وأن لا تبوح به لأحد (يَمضي).

أَرْنولْف : أشعر بضيق في صدري.

هوراس (**يعود**) : ولأبي بنوع خاصّ. إذْ ربما أغضبه هذا الخبر.

ارنولف (**يظنّ أنه رجع ثانية**) : كم آلمني هذا الحوار، وكم أحزنني أن أروي لك الآن حكاية إسمي الآخر. لكني اضطررت الى مصارحته بتفضيلي ما يعجبني طبعاً في هذه القضية. سأحاول ان أتّصل به ثانية لأني أعتقد أنه غير بعيد من هنا، وأن اذكّره بما طلبت منه خشية ان يسبب لي بعض الاحراج، اذ غالباً ما ينجم الضرر عمّا يتساهل به المرء من حيث لا يقصد.

الفصل الثاني

المشهد الأول

ارنولف

أَرْنولْف : كل ما اشعر به نحوها يجعلني اميل الى الإعتقاد أني مصيب في اختياري هذه الفتاة اللطيفة الكريمة الأخلاق. لأني لن أغفر لنفسي خيبة آمالي إن أثبتت لي الأيام القادمة ان مظهرها خدّاع، وأن طويّتها غير سليمة، فيما اذا صممت على قبولها كشريكة حياتي. لأن مشروع الزواج صندوق مقفل كما قيل، لا يظهر ما في داخله إلا بعد فتحه بتتميم مراسم الزفاف. فأرجو أن يلهمني الله ما فيه خيري قبل الإقدام على هذا ... (يُطرق الباب).

المشهد الثاني

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : يا سيدي، هذه المرة ...
أَرْنولْف : مهلاً تقدّما كلاكما نحوي. هيا أقْبلا إليّ.
جورْجيت : لقد أفزعتني، وقلبي يرتجف هلعاً.
أَرْنولْف : أرى أنكما أثناء غيابي لم تتورّعا عن العبث بشؤوني الخاصة.
جورْجيت : أرجوك، يا سيدي، أن لا توبّخني.

آلان (على حدة) : لا بدّ من أن يكون قد عضّها كلب مسعور.

أَرْنولْف : لم أعد أقوى على الكلام لشدة ما توجّسْت خيفة، وأنا أكاد أختنق حزناً لأني أيقنت بصحة النميمة التي اطلقتماها بحقي أيها اللئيمان اللعينان. ها قد عدت ... الى أين تريد أن تهرب ... لا بد لي من أن أُنزل بك ... اذا تحركت. هيّا أريد أن تقولا لي ... أجل أُصرّ على ان تعترفا كلاكما ... إعلما جيداً اني مصمّم جدّيّاً على قتل من يتحرّك منكما بضربة لا محالة تُخمد أنفاسه. هيّا أجيباني كيف تمكّن هذا الشاب من الدخول الى بيتي. عجّلا، وأقرّا حالاً وسريعاً بدون أن تحاولا التملّص من الردّ على سؤالي بصراحة تامّة.

آلان وجورجيت (يجثوان على ركبتيهما) : مهلاً، يا مولانا الكريم.

جورْجيت : قلبي يكاد يتوقّف عن الخفقان.

آلان : وانا أكاد أموت رُعْباً.

أَرْنولْف : ها قد هدأ روعي قليلاً. لكنني لا أصدّق ان الذي عرفته صغيراً سيكبر بهذه السرعة ويزاحمني على حبيبتي. لا بد لي من أن أفهم ذلك منه شخصيّاً وأعرف ماذا ينوي عمله بالضبط في هذا الموضوع الحيوي بالنسبة اليّ. فاصبرْ، يا قلبي، وتمهّلْ، عليّ أن أقابل أغني حالما تنزل لأكون على بيّنة من أمري، وكيف يتحتّم علي أن أتصرّف لأصون حبي وكرامتي، وأخرج سالماً من هذه المعركة العاطفيّة الطاحنة ... لا بدّ من أن ينتظرني خادماي ها هنا.

المشهد الثالث

آلان وجورجيت.

جورْجيت : يا إلهي، ما اشد غضبه. لقد سمّرتْني نظراته القاسية في مكاني. في الحقيقة، لم أشاهده قبلاً في مثل هذا الوضع الثائر.

آلان : الشاب هو الذي أحرجه واخرجه عن إتّزانه، كما قلت لك منذ هنيهة.

جورجيت : ما أصلب عناده وأخشن طبعه. هل يريد أن يسجن سيدتنا في بيتها،

ويفرض عليها العزلة التامّة ويجبرنا على أن لا ندع احداً يراها في مخبإها أو يكلّمها أو يقترب من شخصها الأسير ها هنا ؟

آلان : ارى أن الغيرة قد سيطرت على أفكاره وتصرّفاته.

جوزْجيت : ألَا قلْ لي بربّك، ماذا حدا به الى إتخاذ هذا الموقف الغريب ؟

آلان : صدّقيني، هذا كله مصدره الغيرة بدون ادنى شك.

جوزْجيت : لكن، ما الداعي الى كل هذه الغيرة وكل هذا الإهتداء ؟

آلان : تبّاً للغيرة التي تعمي البصيرة والبصر، يا جورجينت، وتبعث الاضطراب والقلق هكذا في النفس. ولكي أبيّن لك ببساطة ما يتصارع في رأسه من خواطر أطرح عليك هذا السؤال. عندما تطهين الحساء مثلاً، اذا أقبل جائع غريب ليغرف منه ويأكل، ألا تستائين وتغضبين وتصرخين في وجهه وتطردينه ؟

جوزْجيت : الآن فهمت السبب الذي دفعه الى الغضب على هذه الصورة السمجة.

آلان : هكذا يجب عليك أن تعرفي ان المرأة هي حساء الرجل. فعندما يرى هذا الرجلْ ان جائعاً آخر يودّ ان يشاركه في الغَرْف من حسائه ليشبع نهمه هو أيضاً يستشيط غضباً في الحال، ويرغي ويزبد ولا يتردد في تحطيم كل ما حوله إن استطاع.

جوزْجيت : لكن، لماذا لا نجد ردّة الفعل ذاتها لدى كل الرجال على السواء ؟ اننا نشاهد بعض الأزواج لا يبالون لدى رؤية نسائهم في أحضان سواهم من الرجال ؟

آلان : لأن جميع الرجال ليسوا حريصين على نسائهم كي يصرّوا على أن يكنّ لهم وحدهم فقط لا لسواهم ايضاً.

جوزْجيت : اذا لم يخدعْني نظري، ها هو سيّدنا قد عاد.

آلان : كلا، بصرك لا يخدعك. فها هو بذاته.

جوزْجيت : انظر إليه كم هو قَلِق كئيب يستدعي الشفقة.

آلان : أجل ويبدو عليه أنه يكاد يختنق من شدة الضجر والألم.

المشهد الرابع

ارنولف وأغني وآلان وجورجيت.

أَرْنولْف : قال أحد العقلاء المتبصّرين يوماً للأمبراطور أغسطس : « عندما تنتابنا ثورة الغضب علينا أن نعدّد حروف الأبجدية كلّها ريثما يهدأ غيظنا في هذه الاثناء، ولا نُقْدم على ما يتحتّم علينا أن لا نفعله، ونندم بالتالي على عمله ». وانا إتّبعت هذه النصيحة القيّمة في موضوع أغني. لذلك قصدت أن استقدمها الى هذا المكان بحجّة اني أودّ ان أقوم معها بنزهة قصيرة. وهكذا تهدأ خواطري المضطربة، وأطلعها على مخاوفي، وفي الوقت ذاته أحاول أن أستشفّ مدى تعلّقها بي وأستطلع بلطف ما تكنّه لي من العطف والمودّة ... فتعالي، يا أغني، نتجوّل برهة في الحديقة.

المشهد الخامس

ارنولف وأغني.

أَرْنولْف : ما أروع هذه النزهة.
أَغْني : حقاً، انها جميلة.
أَرْنولْف : والنهار صافٍ بهيج.
أَغْني : أجل، هو في منتهى الروعة.
أَرْنولْف : ما وراءك من الأخبار ؟
أَغْني : لقد مات الهرّ الصغير.
أَرْنولْف : يا للأسف. لكن ماذا دهاه ؟ كلّنا مصيرنا الموت في يوم من الأيام، فلا تحزني. عندما كنت أنا في الحقل، ألم تمطر السماء ؟
أَغْني : كلا.
أَرْنولْف : هل هذا يضايقك ؟
أَغْني : لا شيء يزعجني.

أَرْنولْف : ماذا فعلت خلال الأيام التسعة أو العشرة الماضية ؟

أَغْني : أنجزت خياطة ستّة قمصان وستّ قبعات أيضاً.

أَرْنولْف (**وقد سها لحظةً**) : الدنيا، يا أغني، هي كعادتها في غاية الغرابة. فلقد بلغني نبأ مشؤوم مفاده أن رجلاً مجهولاً قد دخل المنزل اثناء غيابي وازعجك بحضوره وحديثه. انا لم أصدّق هذا الخبر الملفّق، وأصررت على المراهنة بأن لا صحة مطلقاً لهذا الادعاء الكاذب.

أَغْني : يا إلهي. لم يكن من داع للرهان كي لا تخسره.

أَرْنولْف : هل صحيح اذاً أن رجلاً ...

أَغْني : هذا لا شك فيه، لأنه فعلاً لم يزر أحداً سوانا.

أَرْنُولْف (**على حدة**) : هذا النبأ الذي تؤكده بصراحة يطعن فؤادي بخنجر حاد. (بصوت مرتفع) على ما أذكر، يا أغني، قد حرّمتُ عليك استقبال اي زائر اثناء غيابي.

أَغْني : لكن عندما تعرف السبب الذي تجهله، يبطل حتماً عجبك. ولو كنت أنت مكاني لتصرفت كما فعلتُ انا.

أَرْنولْف : ربما. فعجّلي اذاً واروي لي كل ما حدث.

أَغْني : أمر غريب يكاد لا يُصدَّق. كنت جالسة في الشرفة بالبرود، عندما رأيت شاباً يمرّ بين أشجار الحديقة. فالتقى نظرانا وانحنى هو مسلّماً عليّ بأدب، وانا بدوري، من قبيل اللياقة، رددت له تحيّته، وانحنيتُ مسلّمة. فما كان منه إلّا أن انحنى ثانيةً وكذلك أنا، وثالثةً ايضاً وأنا كذلك. وراح يمرّ أمامي ذهاباً وإياباً ووجهه يبتسم لي. وهكذا استمرّ في النظر إليّ وأنا أردّ له ابتسامه الى ان أسدل الليل ستائره، ونحن لا نزال نتبادل النظرات والابتسامات. لأني اعتبرت خروجاً على قواعد الأدب أن أكون أقلّ تهذيباً منه.

أَرْنولْف : هذا حقاً جميل جداً.

أَغْني : وفي الغد، عندما كنت واقفة بالباب، دنت مني سيدة متقدّمة في السنّ وخاطبتني قائلة : يا ابنتي، بركة الله تشملك وتحفظ لك طلعتك البهية. لم يَمُنَّ الخالق عليك بهذا الجمال الملائكي لكي تغفلي التنعّم بحسناته وأنتِ في

ريعان صباك، وتجرحي قلب فتى يضطر اليوم الى
ريعان صباك، وتجرحي قلب فتى يضطر اليوم الى التنهّد من شدّة أساه، هو الذي لم يتعوّد الشكوى.

أَزْنولْف (**على حدة**) : تبّاً له من وغد لئيم كزبانية الجحيم.

أَغْني : سألتها : هل حقاً أنا جرحت أحداً ؟ فأجابت : اجل لقد تسبّبتِ في جرح الشخص الذي رأيته بالأمس من شرفتك. قلت لها : وهل استفهمت منه عن سبب ألمه ؟ اجابت : أجل، إن عينيك هما اللتان سدّدتا اليه السهام الجارحة ولحظك هو الذي أنزل به هذا البلاء البالغ الخطورة. فسألتها : وهل عيناي فيهما سهام تصيب الانسان بأي أذى ؟ أجابت : نعم ان فيهما سهاماً ساحرة جارحة لا علم لك بها. وبكلمة أقول لك إن هذا الشاب المسكين يتألم ولا بدّ له من معالجة فعّالة وسريعة، ترفض قساوتك أن تسعفه بها. وقد أصبح إنساناً سقيماً على بُعْد خطوتين من مثواه الأخير. فقلت لها : يا إلهي، يجب عليّ اذاً أن أرحم عذابه وأخفّف عليه علّته. ولكن كيف يسعني أن أساعده ؟ وماذا يُطلب مني أن أفعل ؟ أجابت : ان عينيك وحدهما تستطيعان أن تنعشاه وتقياه من الهلاك المحتّم، وتشفياه من العلة التي أصبته بها، فقلت : يسعه أن يأتى اليّ ساعة يشاء لكى يتناول منهما دواءه الشافى.

أَزْنولْف (**على حدة**) : تبّاً لك من ساحرةٍ داهيةٍ لعينة تسمّمين النفوس الأبية. حملتك الأبالسة الى قعر الجحيم الذي تستحقّينه على قباحة أقوالك وتحريضاتك.

أَغْني : هكذا شاهدني وتناول جرعة الدواء ليشفى. أولا ترى ان الحق بجانبي ؟ وهل يمكنني أن أكون مرتاحة الضمير إن تركته يموت بسببي وحبست عنه نجدتي، انا التي اشفق دوماً على المظلوم ولا استطيع أن أبصر دجاجة تُذبح بدون أن تنهمر دموعي ؟

أَزْنولْف (**بصوت خافت**) : هذا تصرّف انسان بريء رحوم، ولا بد من أن ألوم ذاتي على قلّة تبصّري لأني تركت أخلاقك الكريمة تتعرّض لإغراء هذا المراوغ المحتال. وأخشى أن يكون هذا المنحطّ الذي يستحق الموت شنقاً على تطاوله ووقاحته، قد حاول إغواءك.

أَغْني : ماذا دهاك ؟ وأي شرّ تجد في ما فعلته أنا بإسعافي شاب مسكين إلتمس معونتي ؟
أَرْنولْف : لا، ارجوكِ ان تطلعيني على ما جرى بعدئذٍ، وكيف تصرّف هذا الفتى الأرعن اثناء ما قام به من زيارات لشخصك اللطيف ؟
أَغْني : ليتك تعلم كم كان مسروراً، وكيف زال عنه الألم والعذاب حين أبصرني. ولقد قدّم كهدية لي علبةً جميلة، ومالاً لخادمي آلان وخادمتي جورجيت. حقاً، يجب عليك أن تكون له من الشاكرين.
أَرْنولْف : ولكن ماذا فعل عندما انفرد بك ؟
أَغْني : أُقسم لك أنه يحبني حبّاً لا مثيل له. ولقد اسمعني أحلى كلام في الدنيا لا يعادله اي تعبير آخر. وكلما تحدّث اليّ شعرت بارتياح وسرور ورعشة سحرية لا ادري كيف أصفها لك.
أَرْنولْف (على حدة) : ما هذا القول المشؤوم الذي لا ارغب في سماعه مطلقاً ؟ (لأغني) وما عدا العبارات اللطيفة التي وجّهها اليك، ألم يداعبك ويلامس جسمك الناعم.
أَغْني : اجل أخذ بين كفّيه يديّ وذراعيّ وقبّلها مراراً بفرح وبدون كلل أو ملل.
أَرْنولْف : أولم يَطَلْ منك أية ناحية أخرى ؟ (يراها واجمة). لم اقصد الاساءة اليك ابداً.
أَغْني : أجل لقد ...
أَرْنولْف : ماذا ؟
أَغْني : أخذ ...
أَرْنولْف : قولي لي ماذا ؟
أَغْني : ألـ ...
أَرْنولْف : أرجوك أن تُكْمِلي.
أَغْني : لا أجرؤ. ربّما حَنِقْتَ عليّ.
أَرْنولْف : كلا، كلا.
أَغْني : واذا أسْتأتَ ؟

أَرْنولْف : أعدك بأن لا أحنق.
أَغْني : أحلف لي بشرفك.
أَرْنولْف : اقسم لك اني لن أسخط.
أَغْني : لقد أخذ مني ... لا، لا، ستغضب حتماً.
أَرْنولْف : كلا، كلا، أؤكد لك اني لن أغضب ابداً.
أَغْني : بل ستستاء مني.
أَرْنولْف : لن استاء بتاتاً. لماذا لا تريدين أن تبوحي بما أخذه منك ؟
أَغْني : لقد ...
أَرْنولْف (على حدة) : لا تعذّبي مهجتي اكثر مما فعلتِ.
أَغْني : لقد اخذ مني الشريط الذي أهديتني اياه. ولَم أمانعه عندما ألحّ وأصرّ للاستيلاء عليه والاحتفاظ به كتذكار.
ارنولف (يتنفّس الصعداء) : لا بأس إن أخذ الشريط فقط. لكني أريد أن أعرف اذا كان حقيقة اكتفى بتقبيل يديك وذراعيك.
أَغْني : ماذا تعني ؟ وهل يستطيع أن يتجاوز الى اكثر من هذا ؟
أَرْنولْف : لا، لا، طبعاً لا. ولكن لكي يبرأ تماماً من علّته ألم يطلب منك علاجاً آخر ؟
أَغْني : كلا، كلا. أقسم لك انه لم يطلب أي شيء آخر غير الإسعاف الذي منحته اياه.
ارنولف (عَلى حدة) : شكراً لك، يا إلهي. هكذا ارتاح قلبي أمّا اذا تعرّضتِ لتجربة غير هذه، فلن يسهل عليّ قبول التحدّي الذي سأواجهه عندئذٍ. يا لبراءتك، يا أغْني. بالفعل، لا يسعني أن أضيف كلمة واحدة على ما قلته لك، لأن ما جرى قد جرى. ولست أدري إن كان هذا الضيف الثقيل حين أثنى على جمالك ولطفك لم يطمع بأكثر مما سمحتِ له بالاستشفاء به، وهو يضحك من سذاجتك وبساطتك.
أَغْني : تَعْني أني أخطأت في تصرّفي حياله. أرجوك أن تبيّن لي لماذا وكيف وما السبب ؟

أزنولْف : السبب ؟ السبب هو الحكم الذي يصدر بحقّك، اذا أغضبتِ السماء بما فعلت.
أغْني : اذا أغضبتُ السماء ؟ لكن ما الداعي الى غضبها ؟ إن ما قمت أنا به لا يعدو كونه مجاملة سارّة. لأني أُقدّر ما يشعر به الانسان من الفرح والارتياح عندما يحسن التصرف. وأنا لم أقصد ولا مارست هذه المساعدة إلّا في سبيل عمل الخير.
أزنولْف : أجل، إن مثل هذا التصرّف يجلب السرور طبعاً، لا سيما لقاء حلاوة ما يلقاه الانسان من لطف وحنوّ ومداعبة مستحبّة. لكن على المرء أن يتذوّقها بإحساس شريف، تمحو شرعية الزواج ما قد يستحقه من ملامة وعقاب لو صدر عنه قبله واعتُبر محرّماً.
أغْني : عندما يجري ذلك بعد الزواج، أعتقد أن الأمر لا يكون مشيناً.
أزنولْف : طبعاً لا، بكل تأكيد لا.
أغْني : اذاً، رجائي وكل أملي القبول بي زوجاً بأسرع وقت ممكن.
أزنولْف : اذا شئتِ، أنا على أتم الاستعداد لتحقيق هذا القران. ولهذا السبب بالذات تجدينني جاهزاً ها هنا في هذه اللحظة.
أغْني : هل ما بلغ أذني الآن صحيح ؟
أزنولْف : اجل، اجل.
أغْني : ما أعظم البهجة التي أدخلتها الى قلبي.
أزنولْف : أنا لا أشك بما ستلقينه من سعادة في جنة الزواج.
أغْني : هل تريد أن نذهب نحن الاثنين ...
أزنولْف : أنا لا أتمنى غير هذا.
أغْني : اذ ذاك سيتسنى لنا ان نتداعب كما نشاء.
أزنولْف : ثقي بأن الأمور ستكون متبادلة على ما يرام.
أغْني : لا أُحبّ ان يهزأ بي أحد. هل تتكلّم جدّيّاً ؟
أزنولْف : نعم، نعم. ويمكنك أن تلمسي بنفسكِ حسن نيّتي.
أغْني : هل حقاً سنتزوج ؟
أزنولْف : نعم.

أَغْني : متى ؟
أَرْنولْف : هذا المساء.
أَغْني (ضاحكةً) أحقّاً، هذا المساء ؟
أَرْنولْف : نعم، هذا المساء بالذات. هل هذا يضحككِ ويفرحك ؟
أَغْني : نعم، جداً جدّاً.
أَرْنولْف : ليس أبهج عندي من أن أراكِ في غاية السعادة.
أَغْني : كم أنا مرتاحة لتصريحك هذا. وكم سأكون راضية على حسن تصرّفي.
أَرْنولْف : مع من ؟
أَغْني : مع ... هناك ...
أَرْنولْف : مع من ... هناك ؟ لا يعجبني أن تختاري زوجاً بمثل هذه العجلة. لماذا لا تبيّنين لي على من وقع اختياركِ ؟ لا بد من أن أرحّله الى العالم الآخر عندما أعرف من هو. أيقني بأني سأعرف ايضاً كيف أُنهي علاقتكِ به حالاً حين سيأتي اليك ليبلغك أحرّ تمنّياته. إفهمي جيداً ان عليك أن تغلقي بابك في وجهه وأن ترميه من النافذة بحجر كبير وترغميه على أن لا يكرّر عودته اليك. هل سمعتِ، يا أغني ؟ سأختبئ في إحدى الزوايا لأكون شاهداً على طريقة استقبالك اياه.
أَغْني : إتّفقنا على ذلك ... ها هوذا ...
أَرْنولْف : ماذا تقولين ؟
أَغْني : لن أجرؤ على مواجهته كما تريد.
أَرْنولْف : لا تأتي بأية حركة، بل إصعدي فوراً الى مخدعكِ.
أَغْني : ماذا تقصد ؟
أَرْنولْف : كفى. إعلمي أني هنا أنا السيد المطاع، وعليك أن تخضعي لأوامري وتنفّذيها بحذافيرها فوراً بدون أيّ تردّد.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ارنولف واغني وآلان وجورجيت.

أَرْنولْف : كل الأمور تسير على ما يرام، وفرحي لا يضاهيه أي سرور في الدنيا. لأنك إتّبعتِ تعليماتي كما يجب، رغم مسعى الشاب الأشقر الذي حاول إغراءكِ. في الحقيقة يعود الفضل الأكبر إليّ أنا الذي وقفت له بالمرصاد. كنت أخشى أن تدفعك براءتك الى مسايرته والغرق في لجة معاصيه بدون قصدكِ، لولا ارشاداتي السديدة. لأن أغلب هؤلاء الفتيان المتهورين قد دأبوا على اغواء الصبايا بما يتزيّنون به من ريشات وأشرطة ملوّنة وشعر طويل متموّج وعيون جسورة آسرة. لكنكِ بفضل حضوري قد تداركتِ سوء المصير، وتملّصتِ من براثن هذا المحتال اللعين الذي يفوق دهاؤه جيل ابليس بعينه، والذي حاول ان يخدّش شرفك الطاهر النقي. أُشكري الله على أن نجاتك من حبائل شرّه تمّت على يدي. وهذا ما يجعلك مدينةً لغيرتي على صالحك وهنائك، فحمَيْتك من التدهور والسقوط في الرذيلة. أبشري اذاً واستعدّي قريباً لإتمام مراسم زفافك اليّ. وانا، بانتظار هذا اليوم السعيد القريب ان شاء الله، أرجوك أن تنصتي الى حديثي القصير التالي. فهلّا جلبتِ لي مقعداً لأستريح بعض الوقت عليه بجوارك ؟ (لجورجيت) وانتِ، اذا لاحظتُ عليك ما ...

جوزْجيت : سأطيع حرفياً أوامرك يا سيدي، ولن أدع ذاك الشاب يجرؤ على ... لكن ...
آلان : اذا عاد ودخل ثانية من هذا الباب، سأكون انا بانتظاره. مع أنه في المرة السابقة أتحفني بليرتين ذهبيتين زهيدتين.
أَرْنولْف : الآن، ستتناول عشاءك باستعجال، ثم عليك أن تأتي الى هنا بالكاتب العدل الذي كما تعلم، يسكن قرب الزاوية غير البعيدة من هذا المكان. وانا اتدبّر الباقي لاجراء المراسم.

المشهد الثاني

ارنولف واغني

ارنولف (**جالساً**) : أصغي اليّ، يا أغني، وأريحي يديك من شغل الابرة. وارفعي قليلاً بصرك الى محياي وانظري فقط الى عينيّ أثناء تحدّثي اليك، واطبعي كلماتي بانتباه في أعماق ذهنك المنفتح. سأقترن بك، يا أغني وعليك أن تباركي السماء مئة مرة في اليوم على مصيرك السعيد. قارني الشقاء الذي كنت مزمعة أن تتورّطي فيه، وتأمّلي الهناء الذي أغدقه أنا عليك بهذا الزواج المبارك. لأني إذْ أمنحك اسمي انهض بك من حضيض الفقر القروي الى مستوى شرف الميسورين في المدينة لتنعمي بكل ما فيها من امتيازات ومباهج، فضلاً عما تلقَيْنه بين ذراعيّ من حب وضمّ وعناق وهناء. فأنا رجل مفضال وقور خبير، بعكس ذلك الصعلوك المغرور الحقير الذي يدهورك معه الى مستواه السافل الوضيع. بينما أنا ارفعك الى مصافّ أصحاب العزّ والرفاه. وكل املي أن تشكري حظك الرائع الذي يسّر لك هذا القران المبارك. فالزواج، يا عزيزتي أغني، ليس مزاحاً عابراً، لأنه يضعك أمام واجبات سامية ومسؤوليات جدّية، وأنتِ لا تدخلين حظيرته لكي تنساقي وراء الاستهتار والإبتذال، بل لتتمتّعي بمباهج الحياة وأطايبها. وما انوثتك إلا مفتاح هذه الجنّة الأرضية التي أريد منك أن تدخيلها برأس مرفوع. وهكذا نندمج معاً كلانا

لنكون شخصاً واحداً في المجتمع الراقي على قدم المساواة بي في الاعتبار والإكرام. نحن الآن نشكّل نصفين يتّحدان ليكوّنا شخصاً واحداً. النصف الأول رفيع المستوى قويّ، والنصف الآخر ضعيف يزعن له برضوخ ويمتثل لإرادته المحقّة، كما يطيع الجندي أوامر ضابطه وكما يخضع الخادم لسيده والولد لأبيه والأخ الصغير لشقيقه البكر. فعليكِ أن تنتمي الى فئة المتمسّكين بواجب الليونة والإنقياد والتواضع والاحترام. لأن الزوج هو رب الأسرة وسيدها ورئيسها ومعلّمها ومولاها المطاع. فبمجرّد إلقائه نظرة عابسة يتحتّم على زوجته ان تخفض نظرها الى الأرض وأن لا ترفع اليه عيونها إلّا لإبداء خضوعها لمشيئته. لأن عينيه المعبّرتين هما مصدر فرحها وهنائها. وهذا ما لا تجيده، يا للأسف، نساء اليوم إجمالاً، ولا تدركه المرأة العصرية المستهترة. عليك ان لا تتشبّهي بهؤلاء الزوجات الماكرات اللواتي تُستنكَر قبائحهن على جميع الألسنة. حذارِ ان يغرّك مظهرهن الخدّاع الذي يُشيد بحسناته معظم شبان اليوم الماجنين. ولا تنسي اني بجعلك قرينتي أشاطرك شرف نسبي وسمعتي الطيّبة. وانا واثق بأنك ستحرصين على إبقاء كرامتي في المستوى الرفيع الذي تكفي لتخديشه أتفه الانحرافات ولتمريغه في الأوحال التي تلطّخه بها المرأة الطائشة المستسلمة الى اهوائها وشهواتها. انا لا اردّد عليك هذه النصائح جزافاً لأن فيها عين الحكمة والصواب، وهي خير عبرة لمن لا تريد أن تحاكي بأفعالها أؤلئك الغيد البارعات في الغنج والدلال، والبعيدات كل البعد عن سبل التعقّل والتبصّر والحب الصادق. انا على يقين بأنك في حديثي هذا الرصين ستجدين أفضل الأمثلة لتحافظي على صفحة سلوكك نقية ناصعة البياض كالثلج، لا تشوبها شائبة ولا يلوكها الناقد الطليق اللسان، إن زلّت قدمها، لا سمح الله، ولوّثت عفّتها وسمعتها بما هو أشدّ سواداً من الفحم. فيرذلها الجميع وتتدهور في نهاية المطاف بحراسة الشيطان الرجيم الى ما يتأجّج من نيرانٍ في أعماق الجحيم. بينما أنا، كما ترغبين، أنوي أن أدخلك معي بكل احترام ووقار واستحقاق، الى أرفع طبقات النعيم. هيا الآن سلّمي بانحناءة القبول والرضى كما تمتثل المبتدئات العفيفات عندما يعلنّ نذرهنّ في رحاب الدير الحصين، لأنك بدخولك حظيرة الزواج تعلنين نظيرهن نذر العفّة

والأمانة والطاعة لشريك حياتك المختار. (ينهض) والآن اليك بهذه الهدية التي حفظتها في جيبي لأقدّمها لك كعربون الزفاف لعروس احلامي التي أفخر بأن اوجه اليها الارشادات التي تتضمّنها هذه الورقة الثمينة وتبتهجي انت بتطبيق جميع ما ورد فيها حرفياً، كما ارجو من كل لهفة قلبي.

اغني (**تقرأ ما في الورقة التي تناولتها من يده**) :

حِكَمْ الزواج
أو
واجبات المرأة المتزوّجة
التي يتحتّم عليها ممارستها كل يوم

أغني (**تقرأ**) :

الحكمة الأولى : المرأة التي تنعم بشرفٍ بدفء سرير شريكِ حياتها، عليها أن تضع نصب عينيها، رغم ما يسود اليوم بين النساء من افكار متطرّفة، ان الرجل الذي ترضى به زوجاً لا يقْبَلُها إلّا لكي تكرّس كل حياتها له وحده.

أَرْنولْف : سأشرح لك فيما بعد فحوى هذا الكلام المفيد، فعليك الآن أن تكتفي فقط بالاطلاع عليه بانتباه كلّي.

أغني (**تتابع القراءة**) :

الحكمة الثانية : عليها أن تتبرّج وتتزيّن بقدر ما يشاء زوجها الذي يمتلكها. لأن أمر زينتها والعناية بجمالها، يتعلق به وحده، ولا مانع لديه إن وجدها سواه قبيحة المنظر.

الحكمة الثالثة : عليها أن تمتنع عن استعمال أية موادّ لتجميل عيونها، والمياه والمساحيق البيضاء والمراهم والأصناف المتعدّدة التي تلجأ المرأة اليها لتنعيم بشرتها. لأن هذه العلاجات اليومية تسيء الى حسن السلوك في الحياة

الزوجية، وهي محاولة للظهور بمظهر الحسناوات قلّما تهمّ معظم الأزواج بوجه عام.

الحكمة الرابعة : تحت ستار الخفر والحياء وشعار الأمانة والوفاء، الأمر الذي يجب عليها أن تلتزم به، كما يفرضه شرف الزوجة المصان، لا بد لها من أن تتغاضى عن كل نظرات الاعجاب التي تعترض سبيلها عادةً. إذْ أنها لكي تستحقّ رضى زوجها، عليها أن لا تُعجب أي رجل سواه.

الحكمة الخامسة : ما عدا الزيارات التي يَتلقّاها الزوج، تُحرِّم القاعدة السليمة أن تقبل الزوجة زيارة أيٍ كان، لا سيما التي يقصد بها الزائر شخص الزوجة بنوع خاص، لأنها لا ترضي ابداً شريك حياتها.

الحكمة السادسة : عليها أن تمتنع عن قبول الهدايا من أي رجل كان. ففي العصر الحاضر لا يقدّم احدٌ هديةً لوجه الله بل لغاية خفيّة في نفسه.

الحكمة السابعة : بين جدران البيت، اذا ضجرت الزوجة، عليها أن لا تستخدم القلم والحبر والورق والكتابة بتاتاً الى أيٍ كان. لأن من حقّ الزوج وحده أن يكتب بخط يده كل ما يمكن تدوينه تحت سقف بيته.

الحكمة الثامنة : المجتمعات الفوضوية التي يخلع عليها الماجنون اسم المجتمعات الترفيهية، تضم نساء لا يتورّعن عن إغراء كل رجل رصين عفيف النفس. لذا يتحتّم على القوانين الرصينة أن تحرّم هذه المجتمعات التي في ظلالها تُحاك جميع المؤامرات على الأزواج المساكين.

الحكمة التاسعة : كل زوجة تودّ ان تحافظ على شرفها، ان تمتنع عن لعب الميسر وتبتعد عنه كما يتجنّب الصحيح المصاب بوباء الجرب. لأن هذا اللعب المدمّر يدفع بالمرأة غالباً الى المقامرة بكل رصيدها من الاحترام والوقار.

الحكمة العاشرة : اما النزهات والدعوات التي تتناول الطعام في الحقول، فعلى الزوجة أن لا تقبلها ولا تجرّبها. فحَسَب العقول الراجحة، هو الزوج الذي يدفع ثمن مثل هذه الدعوات، والتّقدِمات المغرضة.

أرْنولْف : الحكمة الحادية عشرة، ستُكملين القراءة وحدك فيما بعد، ريثما أشرح لك هذه القضايا. لأنّ لديّ الآن مهمّة مستعجلة أودّ قضاءها بدون

إمهال، وقريباً أقول لك كلمة أُخرى وجيزة في هذا الموضوع. فعودي الى المنزل واحفظي هذه الوصايا بحرص وإمعان. واذا أقبل الكاتب العدل اثناء غيابي، أطلبي منه أن ينتظرني هنا بعض الوقت.

المشهد الثالث

ارنولف

أَرْنولْف : لا يسعني أن أفعل أكثر من اعداد زوجتي المقبلة وتهيئتها للتصرّف حسب مشيئتي. فإنها كقطعة الشمع بين يديّ أعطيها الشكل الذي يروق لي. اثناء غيابي كادت هذه الصبية، لشدة براءتها، أن تزلّ بها القدم بمخالفتها تعليماتي. في الحقيقة يصعب على الرجل أن تخطئ زوجته في هذا المضمار. وعلى هذا النحو يكون العلاج سهلاً، لأن كل إنسان بسيط يتقبّل ما يُلقى عليه من الدروس راضياً. واذا حادت عن جادّة الصواب، تكفيها كلمتان لتعود عن غيّها. لكن المرأة الذكية لا تنقاد طوعاً، لأنها عادةً تتشبّث برأيها وتعاند منتقدها، وتأبى أن تعترف بأخطائها لتتبع ارشاداتنا، بل بالعكس تهزأ بحكمتنا وتزدري بتوصياتنا وتحذيراتنا وتتصوّر غالباً ان نقائصها بمثابة الفضائل، كي تصل الى مبتغاها من إشباع نزواتها المتهوّرة. ومهما اجتهد رَجُلها في كبح جماحها، كثيراً ما يذهب سعيه أدراج الرياح. فالمرأة الفطنة هي سيدة الفتنة والمشاكل في محيطها، كما أن إبليس هو ربّ الشر والفساد، ينصب شباكه ليوقع البشر في حبائله. ومتى صمّمت هذه المرأة على تلويث شرفها وشرف رَجُلها وإن سرّاً، يصعب عليه أن يسلم من حروق لهيب لؤمها. على كل حال لا يسع الشاب الطائش ان يضحك ويسخر في هذا المجال، لأنه لقلّة تبصّره واحتياطه للعواقب لا بد له من أن يقع في المصيدة. وهذه علّة العلل في سعينا وراء السراب والوهم، لأننا قلّما ندرك الى أين يقودنا حظنا العاثر أحياناً، ما دامت الحماقة تودي بصاحبها غالباً، بما تزيّنه له من الحسنات، الى أسوأ مصير، لا سيما عندما ينحرف وراء أهواء امرأة يسيطر عليها شيطان الجسد

فتتعامى عن كل ترفّع وتستسلم الى ميولها الشاذة وغرائزها البهيمية. أخيراً، لا بد لنا من الإتّعاظ بما يتراءى لنا من صلاحٍ عَبْرَ تجاربنا الشخصية في وسطنا، وقد قيل : حيّى الله مَن تعلّم على حساب اخطائه أو أخطاء سواه، ومن عرف حدّه ووقف عنده.

المشهد الرابع

هوراس وارنولف.

هوراس : انا عائد من منزلك توّاً، وقد شاءت الظروف ان لا ألقاك هناك. وهذا ما أحزنني.

أرْنولْف : لا تهتمَّ ابداً للأمر، ولا تلجأ الى الاعتذار، لأن هذه الاساليب لا تروق لي ولا تصلح الحال. وما عَجَبي إلّا من مدركين يُضيعون الكثير من الوقت في مثل هذه الرسميات غير المجدية. فدعْنا منها وبدون تكليف حدّثني عن غرامياتك بدون مقدمات. هل أستطيع، يا سيدي هوراس، أن أعرف الى اين وصلتَ بمشروع زواجك الميمون ؟ لقد فاتني أحياناً أن ألاحظ تحركاتك وأنا متشوّق الى الاطلاع على كل التفاصيل في هذا الميدان. غير أني فكّرت مليّاً بما يناسبك، وقارنته بما رويته لي من مبادرتك التي تهمّني جداً، نظراً الى ما أكنّه لك في أعماق صدري من الصداقة والمودّة والوفاء.

هوراس : لا أكتم عنك أني منذ أن فتحت لك قلبي على مصراعيه قبل برهة، قد طرأ على حبي ما جعلني لا أتوقّع له حسن الختام.

أرْنولْف : بربّك، ماذا جدّ معك في هذا الموضوع ؟

هوراس : لقد شاء سوء طالعي أن يعود من السفر وليّ أمر الصبيّة الحسناء التي أهواها.

أرْنولْف : يا للمصيبة.

هوراس : ويؤسفني أن يكون قد علم بما بيننا نحن العاشقَيْن من سرّ التفاهم والاتفاق.

أَرْنولْف : وكيف تسنى له أن يدري بالأمر هكذا بسرعة ؟

هوراس : لا أعلم. لكن المسألة أكيدة. ففكّرت وعزمت على الذهاب توّاً لزيارة فتاتي والتحدّث اليها في هذا الشأن. غير أني وجدت أن لهجتها ونظراتها الّتي قد طرأ عليها بعض التغيير. وفهمت من خادمتها وخادمها حقيقة موقفها. واذا بما بلغ أذني وأنا عند المدخل من عبارة : « إنسحبْ لأنك تعقّد القضية » ثم اغلاق الباب في وجهي بخشونة، قد أقلق بالي كثيراً.

أَرْنولْف : هل أُغلق الباب في وجهك ؟

هوراس : نعم أُغلِق في وجهي.

أَرْنولْف : هذا ليس بالأمر الهيّن.

هوراس : حاولت أن أكلّمها من خلال الباب. لكني لم أحصل إلّا على هذا الجواب الجاف : « لن تدخل الى هنا بعد الآن، لأن المنع مشدّد ».

أَرْنولْف : اذاً، لم يُفتَح لك الباب، كما تقول.

هوراس : كلّا. ومن النافذة أكّدتْ لي أغني نبأ رجوع وليّ أمرها. وطلبت مني بجفاء أن أبتعد عنها. ولم تكتفِ بذلك، بل رافقت كلامها بالعبوس حين ألقت في وجهي بهذا الحجر الثقيل.

أَرْنولْف : كيف رمتك بهذا الحجر ؟

هوراس : أجل بهذا الحجر من الصدّ المباغت. وهكذا سدّت أمامي جميع الطرق كي لا أعود الى زيارتها ابداً.

أَرْنولْف : فعلاً هذا الحجر ليس بطفيف. لأن وضعك بات الآن في غاية الحرج.

هوراس : نعم، ساءني جداً هذا الرجوع المشؤوم.

أَرْنولْف : وانا تكدّرت كثيراً لأجلك، وآسف مثلك على هذا التبدّل الشنيع.

هوراس : هذا الرجل المنحوس حطّم كل آمالي.

أَرْنولْف : لكن الحزن لا يفيدك، يا صاح. لا بدّ لك من إيجاد وسيلة تعيد المياه الى مجاريها.

هوراس : نعم، نعم، لا بد من البحث عن طريقة بارعة تبدّد غيوم غيرته وتخفّف من تمسّكه الشديد بهذه الصبية المظلومة وحَبْسها عني.

أرْنولْف : الأمر سهل على كل حال، ما دامت الفتاة تحبّك.
هوراس : بالطبع، هي تهواني.
أرْنولْف : اذاً، ستتوصّل الى حلّ ملائم، متى ساعدتك الظروف.
هوراس : هذا جلّ املي ورجائي.
أرْنولْف : صحيح أن الحجر الذي رمتك به قد اطاش صوابك. ولكن هذا لن يثّبط عزيمتك.
هوراس : طبعاً، طبعاً. لقد فهمت أوّلاً ان الرجل العجوز الذي حضر، هو الذي، بدون أن يدري أحد، قد دبّر قصة هذا المنع. لكن ما أدهشني وسيدهشك انت ايضاً هو حادث آخر، أُعلمك به الآن، هو عمل جريء مذهل قامت به فتاتي الحسناء، لا سبيل الى توقّع صدوره عن بساطة تصرّفها. وهنا لا بد من الاقرار بأن الحب استاذ ماهر يلقّننا كل ما نجهله، وكثيراً ما يطوّر أخلاقنا كليّاً، وذلك بأقلّ جهد وبأسرع من لمح البصر أحياناً. وفي أعماقنا يهدم العراقيل ويجترح المعجزات، اذ يعجّل في حلّ العقد ويقلب العادات رأساً على عقب. فيجعل من البخيل كريماً سخيّاً، ومن الشجاع جباناً رعديداً، ومن الظريف الكيّس ذريّاً لئيماً خسيساً، ويضفي الرشاقة على أثقل الناس ظلاً ويخلع البراءة على أحطّ الدجالين المحتالين. أجل لقد تحقّقتْ هذه المعجزة الباهرة على يد أغني. اذ بعد ان قابلتني بالمنع الصريح قائلة : « إنسحب لأني لا أودّ أن يزورني أي إنسان. إني أعرف كل احاديثك. وهذا جوابي النهائي »، بعد هذا الردّ المُفْحِم الثقيل الوطأة والمربك حقّاً، ها هي الآن ترتمي الى الأرض عند قدميَّ لتوصل اليّ رسالة، يذهلني منها أن تقوم هي نفسها بعمل كهذا غير منتظر منها، يوازي ثقل الحجر الذي رشقتني هي به. فعلاً ان دافع الحب ينشّط الأذهان ويحمل صاحبه على القيام بأعمال مدهشة كتسليمي هذه الرسالة المنقذة. فما قولك بهذا الانقلاب العجيب ؟ هل تجد من المعقول أن تصدر عنها بادرة جريئة كهذه، رغم كل ما يحيط بها من نوايا سيّئة ومحاولات معرقلة ؟ قلْ لي، بربّك، قلّ لي.
أرْنولْف : اجل، هذا حقاً غريب مدهش لا أجد له تفسيراً أوْ تأويلاً.
هوراس : هيا اضحك قليلاً، يا صاح. (يضحك ارنولف ضحكةً مصطنعة). ان وليّ

امرها الذي تَجَنَّد لمحاربتي وإقصائي، قابع في منزله يكاد لا يبصره أحد. وكما لو كنت أبغي الدخول اليها عنوةً، ولكي يصدّني بموقفه الصلب الشاذ، تراه قد حرّض كلًا خادميه على مشاكستي ومنعي من لقاء فتاتي التي تجهل كل احابيله، اني اعترف من جهتي بأن عودته قد زرعت أشواك البلبلة والحيرة في درب حبي. لكن تصرّفه يحمّسني بدلاً من أن يثنيني عن إصراري على الفوز بقلب عروس احلامي، وهذا لا يمنعني من الضحك، كما لا يمنعك أنت ايضاً، بسبب هذه الأساليب الصبيانية الهوجاء الفاشلة.

ارنولف (**يضحك ضحكةً مصطنعة**) : أعذرني، لأني أضحك كما يتسنى لي.

هوراس : عليّ كصديق أن أطلعك على هذه الرسالة التي عبّرتْ فيها عن كل مشاعر فؤادها العاشق بما خطّته لي من أسطرها الرائعة وضمّنتها من عطف بريء ومهارة ونعومة واسلوب شيّق وطبيعة صادقة. إذ صرّحت لي بما تشعر به نحوي من شغف وشوق ومن ألم، سبّبته الممانعة الخانقة التي تحول دون مقابلتي كما ترغب.

ارنولف (**بصوت خافت**) : ما اروع فائدة الكتابة بهذه الطريقة. ها هو فنّها في الانشاء الرقيق يكشف لي عن حقيقة وَجْدها وتعلّقها بي.

هوراس (**يقرأ**) : « عزمتُ على الكتابة إليك، وأنا محتارة كيف ابدأ. أريد أن أطلعك على افكاري، ولكني لست أدري كيف أعبّر لك عنها، وأنا مصمّمة على أخذ الحيطة والحذر حتى من كلامي ذاته. علمت الآن ان محيطي يصرّ على ابقائي في جهلي بالنسبة الى ما يدور حولي في الخفاء. وأخشى أن أبوح لك بما يعود عليّ باللائمة والضرر، وأن اصرّح بأكثر مما يجوز لي أن أعلن. في الحقيقة، لست أدري كيف يراد مني أن أتصرّف. لكني أشعر بأني أكاد أموت كمداً بسبب ما اضطر الى مقابلتك به من جفاء وصدود. وأصرّ على أن تعلم اني أتوق الى تكريس حياتي لك وحدك. ربما هذا القول ليس من صالحي بكل معنى الكلمة. وأتمنى أن يتحقق حلمي هذا لأني لا اطيق البعد عنك ولا العيش بدونك، ولا يسعني أن أكتم عنك حقيقة شعوري نحوك. قيل لي أن معظم الشبّان خدّاعون وأنت منهم، وعليّ أن لا أصغي الى كلامك المعسول، وأن كل ما تحدّثني أنت به ليس إلّا طُعْماً لتنال مني ما تبتغي. لكن،

صدّقني إن قلت لك أني لا أؤمن بحرف واحدٍ من كل ما يفترى به عليك. فأنا يلذّ لي أن أستمع الى اقوالك وأؤمن بكل كلمة تتلفّظ بها شفتاك أمامي، لأني لا أتصوّر مطلقاً أنها قد تكون كاذبة لا تعبّر عن حقيقة هيامك بي. أرجوك أن تؤكّد لي ما قد أفصحت عنه على مسمعي من عواطفك النبيلة التي تخصّني بها دون سائر الصبايا. إذْ أني بسبب بعدي عن كل خبث سأجد أقوالك لي من أفظع الأكاذيب اذا كنتَ حقاً تخدعني، وبالتالي تطعنني في صميم فؤادي وتتسبّب بموتي حزناً وقهراً.

أَرْنولْف : تبّاً لها من محتالة لعينة.

هوراس : ما بك ؟

أَرْنولْف : أنا ؟ لا شيء. لقد فاجأني السعال.

هوراس : هل استوعبت حلاوة تعابيرها ؟ انها رغم كل ما تلاقيه من تضييقات، لم تشأ إلا أن تبيّن لي حقيقة شعورها نحوي. أوليس ما تُعَامل به من مزعجات جريمة نكراء تستحقّ أقسى العقاب ؟ في الواقع، هي فتاة مثالية أهل لكل إعجاب وتقدير، رغم ما تحاط به من جهل وحماقة لخنق روح الأمانة والمودة الصادقة في صدرها الرحب. لكن حبها المخلص قد مزّق الغشاء الذي اراد مَنْ حولَها أن يضعوه نصب عينيها لمنعها من رؤية الحقيقة الناصعة في أجْلى مظاهرها. كم أود أن أقتصّ من هذا الحيوان، هذا الخائن، هذا الجلّاد هذا اللئيم، هذا الوحش الضاري أن ...

أَرْنولْف : الوداع.

هوراس : لماذا هذه العجلة ؟

أَرْنولْف : لقد خطرت ببالي مسألة، لا بد لي من الذهاب الآن لمعالجتها.

هوراس : ولكن، هل تعلم من يمكنه أن يأتي في هذه الساعة الى هذا المنزل ؟ اني أتصرّف حيالك بدون كلفة نظراً الى ما يربط بيننا من صداقة متينة. هنا لا أجد إلّا أشخاصاً دأبهم ان يراقبوني ويُحصوا عليّ حركاتي. ها هما الخادمة والخادم، وكلاهما لا أرتاح الى نظراتهما المريبة الخبيثة التي تحاول أن تستر قساوتها بحلاوة المراوغة حين يسمعونني أتكلم، خشية أن أتوصّل الى توجيه بعض كلمات الى فتاة أحلامي. لقد قصدتُ عرّافة مسنّة

تخاطب الجن والأرواح بقوّة سحرها الذي يفوق طاقة البشر، كي أوسّطها في تغيير هذه الأوضاع التي تضايقني. غير أني وجدتها قد ماتت منذ أربعة أيام. فهل لك أن ترشدني الى سواها لنيل مرادي.

أَرْنولْف : كلا، لا أعرف احداً يفيدك في هذا المجال. وأنت لا بد لك من إيجاد حلّ آخر بدون مساعدتي.

هوراس : الوداع اذاً. ارجو أن تحفظ في سرّك ما دار الآن بيننا من حديث لا اريد أن يذيع.

المشهد الخامس

ارنولف

أَرْنولْف : يشقّ علي أن أتجلّد أمامه وأخفي عنه ما يمزّق مهجتي من الأسى. لقد ضاق صدري بما تحمّلته من العذاب الأليم بسبب هذه الفتاة البريئة الذكية. وكدت أعتبرها، اذ تنكّرت لي، قد خانت عهدي. فأي عفريت زوّدها بهذه البراعة في التمويه والتصريح ؟ أخيراً حظيت بهذه الرسالة، ومنها علمت بأن هذا الخبيث المحتال قد حاول تأليبها عليّ واقتلاع مودّتي من قلبها، الأمر الذي سبّب لي القنوط وكاد يقتلني. لأني تألمت من خَنْق حبّي في صدرها عن طريق إيهامها بأني خدّاع منافق لست أهلاً للوثوق بي. ولم يحزّ في قلبي اكثر من أن أكون في نظرها ما حاول هذا الدجّال أن يدّعيه وينسبه اليّ من رذائل واخلاق منحطّة، وسوء مصيرها معي إن رضيتْ بي زوجاً لها. لكن حسن طالعي شاء أن تنتقم لي هي بذاتها. ويا ويح قلبي لو نجح في تحويلها عن حبي. فلقد عانيت الأمرَّيْن في سبيل الاقتناع باقتبالها وارتضائها كحبيبة وحليلة لي، وهي لا أهل لها ولا سند ولا مال. وكادت أن تنبذ لهفتي ومودّتي وحنوّي. مع ذلك لبثتُ أنا أميناً على محبتها رغم ما أُجبرت هي على اظهاره لي من صدود وتنكّر. فقلت في سرّي : ألم يعد لديّ قليل من الكرامة والسماحة ؟ وكدت أنفجر غيظاً. وضربت الف مرة على رأسي وحرّضت

نفسي قائلاً : لا بد لي من دخول غرفتها لأرى ماذا جعلها تتّخذُ موقفها الجديد الشنيع. يا إلهي، لا تجعلني أستحقّ هذا الصدّ والعذاب. وإن كُتب لي أن أمرّ بهذه التجربة العسيرة، إمنحني القوّة والصبر على تحمّل تقلّبات مثل هذه الفتاة التي توشك أن تسبّب لي الكثير من المشاكل الى ان تعبر عني هذه الشدّة المقلقة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

ارنولف

أَرْنولْف : اني أسعى للبقاء في مكاني، وأفكاري مرتبكة ومضطربة، لأني أريد أن أرتب الامور داخلياً وخارجياً كي أتوصّل الى إحباط خطط هذا السفيه. بينما هي تنتظر بفارغ الصبر أن يتغيّر وضعها، وتحافظ على هدوئها لئلّا تثير الشبهات حول نواياها الحقيقية. بينما أنا في هذه الأثناء أتقلّى على الجمر من شدة غيظي وهمّي، وأشعر بأن شغفي بها يزداد واشفاقي يتضاعف على ما تعانيه من أسر في هذا البيت يتعدّى جميع حدود الاحتمال. وأعتقد ان كلانا مضطربان بسبب هذا التباعد القسري الذي يفرّق حالياً بيني وبينها. وأخشى أن لا نتوصّل سريعاً الى حلّ هذه العقدة المستعصية. لأني من جهتي بذلت جهداً جهيداً للتقرّب اليها وكسب عطفها ومودّتها، وإن كنت نظير وليّ امرها أضيّق عليها مجال التصرف. ومن جهة أخرى أرى هذا الشاب المغرور ينافسني ويحاول الاستئثار بها بعد أن نجحت أنا في حملها على مصارحتي بحبّها لي. هذا حقاً أمر لا يطاق بتاتاً، لا سيما وكلانا نعتبر نفسينا نصف متزوجَيْن. وحقّ السماء، لن أتخلّى عنها ولن أدع هذا الجاهل الغبي يحظى بها ويهزأ بي ويفشّل مسعاي الدؤوب لتحقيق هذا المشروع الأساسي في حياتي.

المشهد الثاني

الكاتب العدل وارنولف

الكاتب العدل : ها هوذا. وأنا على أتمّ الاستعداد لكي أكتب العقد الذي تودّ أن توقّعه.

ارنولف (بدون ان يراه) : كيف العمل ؟

الكاتب العدل : سأعتمد الأصول المتّبعة رسميّاً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وعلى سبيل الاحتياط، لا بد لي من التفكير مليّاً.

الكاتب العدل : لن أدرج أي بند ليس من صالحك..

ارنولف (بدون أن يراه) : لا بد من أخذ الحيطة لكل الإحتمالات والمفاجآت.

الكاتب العدل : المهمّ أن تضع كامل ثقتك بي وتتّكل عليّ تماماً في هذا الأمر الدقيق. ثم عليك لتحاشي الخيبة، أن تدفع جميع تكاليف العقد.

ارنولف (بدون أن يراه) : أخاف أن تتضمّن نصوص العقد أي خلل أو أن يذيع أمره في كل مكان.

الكاتب العدل : من السهل تجنّب ذلك، اذا جعلنا العقد سرّيّاً.

ارنولف (بدون أن يراه) : وكيف يمكنني بعدئذٍ أن أعلنه.

الكاتب العدل : تدفع المهر عند استلام الرزق.

ارنولف (بدون أن يراه) لكنني عاشق وحبي هو المشكل الأكبر.

الكاتب العدل : يمكنك أن تمنح المرأة بعض الامتيازات.

ارنولف (بدون أن يراه) : وما العمل في مثل هذا الحال ؟

الكاتب العدل : المفروض أن تُضيف الى بائنة العروس مقدار ثلث المبلغ، مع أن هذا التدبير لا يكفي. وكلما زدناه توثّقت الروابط وبات العقد أمتن وأثبت.

ارنولف (بدون أن يراه) : وإذا ...

الكاتب العدل (يراه ارنولف) : لضمان الحقوق بصورة اكثر فعالية يستطيع العريس، اذا شاء، ان يضاعف مهر العروس.

أرْنولْف : وهكذا ...

الكاتب العدل : يزداد تعلّقها بالزوج، لأنه يبرهن عن حبّه لها ورغبته في

توطيد ارتباطه بها. مع العلم أن المهر أو المقدَّم كما يُدْعى أيضاً، يضيع هو والزيادة في حال وفاة أحد الفريقَيْن أو يُحوَّل الى ورثة المتوفّى او المتوفاة، حسب الاتفاق على هذه النقطة. كذلك يمكن تقديم المبلغ كهدية قطعيّة. وهكذا تُطبّق جميع البنود بالرضى المتبادل. وفي هذا الحال لا يبقى أيّ مجال للاختلاف. لأن كل الأمور الخاصة تكون مسجّلة في العقد حسب مشيئة الطرفَيْن، فضلاً عن الشروط العامة التي يخضع لها الجميع في ما يتعلّق بالأملاك المنقولة وغير المنقولة وسواها، إلّا اذا أُدْرجت نصوص استثنائية تتعلق بها. هل تعلم أن ثلث مقتنيات العروس يكون مشتَركاً ؟ ...

أرْنولْف : هذا لا شك فيه ابداً. ولا أحد يسعه أن يدّعي العكس.

الكاتب العدل : هل تظنّني أحمق نظراً الى ما قمت به من حركات وهز الكتفَيْن استخفافاً ؟

أرْنولْف : الوداع. هذه أنسب فرصة لاختتام المناقشة.

الكاتب العدل : أولم تستدعني لكي أُنظّم لك عقداً ؟

أرْنولْف : اجل استدعيتك لهذه الغاية. غير أني أفضّل تأجيلها الآن. وسأرسل في طلبك عندما يحين الأوان. فلا داعي للأخذ والردّ.

الكاتب العدل : أعتقد بأنك رجل متشبّث برأيك، وأنا على يقين بأن الحق الى جانبي.

المشهد الثالث

الكاتب العدل وآلان وجورجيت وارنولف.

الكاتب العدل : أولم تطلب أنت مني المجيء بناءً على رغبة معلّمك ؟

آلان : اجل، اجل.

الكاتب العدل : انا أجهل إن كنتَ تعرف ما سأقول. على كل حال، إذهب من قبلي وبلّغ سيّدك انه رجل مهووس لا يدري ماذا يفعل.

جورْجيت : لن نتأخر عن إعلامه بذلك.

المشهد الرابع

آلان وجورجيت وارنولف.

آلان : سيدي ...

أرْنولْف : اقتربا مني. فأنتما صاحباي المخلصان، انتما صديقاي الحميمان، ولديّ ما اقوله لكما.

آلان : الكاتب العدل ...

أرْنولْف : دعنا الآن من موضوعه. الأمر يتعلّق بشخص آخر. علمت بأن هناك مهزلة تُدبَّر لمفاجأتي بها. يا للعار الذي سيلحق بكما اذا فقد معلّمكما شرفه واعتباره بين الناس. عندئذ لن تتمكّنا من الظهور في أي مكان عامّ. وعندما يشاهدكما أحد سيدلّ عليكما بأصبعه. وبما أن المسألة تخصّكما كما تخصني، طبعاً يتحتم عليكما أن تحتميا من أذى هذا المحتال مهما كلّف الأمر.

جورْجيت : نشكرك على إهتمامك بنا.

أرْنولْف : اني أحذّركما من الإتّكال على أيٍ كان والوثوق به.

آلان : ولماذا ؟

جورْجيت : نحن نعرف كيف ندافع عن أنفسنا عند الاقتضاء.

أرْنولْف (**لآلان**) : اذا قال لك أحد بلهجة لطيفة : « يا صديقي آلان، عليك أن تسعفني وتتدارك تباطُؤي ... »

آلان : يا للحماقة.

ارنولف (**لجورجيت**) : واذا قال لكِ : « يا جورجيت اللطيفة، انت حلوة وطيبة القلب ».

جورْجيت : أردّ عليه : « يا لك من غبيّ ».

ارنولف (**لآلان**) : حقّاً، كيف يمكنك أن ترى الشرّ في مصير رجل شريف تتجلّى في ملامحه الفضيلة بأروع معانيها ؟

آلان : « انت محتال لعين ».

ارنولف (لجورجيت) : حسناً. سأموت حتماً اذا لم أُعالج ما سبّب لي هذه الآلام المبرّحة.

جورْجيت : « انت رجل مستهتر لا تحتاط لأي امر ».

أَرْنولْف : هذا لا يهمّ. أنا لا أطلب شيئاً بدون مقابل، وأعرف جيداً كيف أكافئ من يؤدي لي أية خدمة. مع ذلك، يا آلان، خذْ هذا سلفاً لتشتري ما تشاء. وأنت ايضاً، يا جورجيت، خذي هذا المبلغ وتصرّفي به على هواكِ. (يتناول كل منهما مبلغاً من المال). هذا ليس إلا نموذج من عطاءاتي السخيّة. وما أطلبه منكما لا يتعدّى السماح لي برؤية سيدتكما بعض الوقت.

جورجيت (وهي تدفعه) : نحن لسنا من هذه الفئة من الناس.

أَرْنولْف : وما هو مانع تقديم هذه الخدمة البسيطة ؟

آلان (وهو يدفعه) : اخرج حالاً من هنا.

أَرْنولْف : مهلاً، مهلاً.

جورجيت (وهي تدفعه) : هيا أخرج سريعاً.

أَرْنولْف : حسناً. ما بالكما تقابلاني بهذه الخشونة ؟

جورْجيت : ألا أتصرّف كما ينبغي ؟

آلان : نظراً الى ما وجهته الينا ...

أَرْنولْف : لا أحد يجبركما على قبول ما عرضته عليكما من المال.

جورْجيت : لم يسبق لنا أن نرضى بالقيام بمثل هذا العمل الحقير.

آلان : أتريد أن نعود الى موقفنا الرافض ؟

أَرْنولْف : ابداً. هذا يكفي. إرجعا الى حيث كنتما.

آلان : لا سبيل الى تفوّهك بأية كلمة اخرى.

أَرْنولْف : لا، لا. عودا الى حيث كنتما، فأنا أترك لكما ما قد أعطيتكما من المال. إذهبا، وأنا أَلْحق بكما. إفتحا أعينكما جيداً، ولا تغفلا عمّا طلبته منكما.

المشهد الخامس

ارنولف

أَرْنولْف : سأكلّف الإسكاف المقيم عند زاوية الشارع بالتجسّس لحسابي. لأني أريد أن أُحصي عليها كل حركاتها وسكناتها سواءً عند خروجها أو عند تلقّيها بعض الزيارات. وسأحاول ان أمنع استقبالها بائعات .الشرائط والشعر المستعار، والمزيّنة وصانعات المناديل والقفازات وبائعات سائر الأصناف. لأن هؤلاء اللواتي يستطعن الاتّصال بها في كل يوم قد ينقلبنَ الى وسيطات غرام. فلقد خبرت أمور الدنيا وجرّبت شتّى وسائل الاستمالة والإغراء، وعليّ أن أظلّ حذراً تجاه كل من يمكنه أن يؤثّر عليها ويأتي لمقابلتها.

المشهد السادس

هوراس وأرنولف

هوراس : يسعدني ان أصادفك في هذا المكان. فقد سررت لكوني خرجت برفقتك بدون أن أحسب حساباً للمغامرة التي أقوم بها. فقد كانت أغني وحدها في الشرفة تتنشّق الهواء الطلق. وبعد أن أومأت اليّ وتظاهرتْ بأنها نازلة الى الحديقة، فتحت لي الباب. ولكن ما كدنا أنا وهي نصل الى غرفتها حتى سمعت صوت الشاب الذي يلاحقها آتياً من جهة الدرج. ولكي تنقذ موقفها الحرج حيالي، بادرتْ الى إخفائي في خزانة كبيرة. وحين دخل الشاب لم أشاهده في بادئ الأمر، لكني سمعت وقع أقدامه المستعجلة بدون أن ينطق بكلمة. ومن حين الى آخر كان يتنهّد شاهقاً ويطرق بشدة على الطاولة مضطرباً، كأنه يركل كلباً صغيراً يهاجمه. واذْ الْقى بغتةً بيد مرتعشة برباط الكلب الذي لقيه على الأرض كسر بعض الأواني التي كانت تزيّن ظهر الموقدة. لا شك في أن هذا الفتى الأحمق قد أتى ملبّياً نداءها، فاستحقّ مني أن أصبّ عليه جام غضبي. بعد لحظة خرج الشاب من الغرفة بدون أن يفصح

عما يضايقه، وخرجت أنا من الخزانة. وكنت اخشى أن ألتقي به عرضاً فيفتضح أمر وجودي هناك. لأن المغامرة ستفضي حتماً الى معضلة كبيرة. لكنني كنت مضطراً تلك الليلة أن أتسلّل بهدوء الى حجرتها ولو متأخّراً. وقد اتفقنا، لكي تعرفني، أن أسعل ثلاث مرات. عندئذٍ تفتح هي النافذة، ثم بواسطة سلّم وبمساعدتها أحاول أن أصعد اليها. ها أنا ابوح لك بذلك نظراً الى ما يجمع بيننا من صداقة متينة. ويسرّني كثيراً أن أطلعك على ذلك، لأن هذا الحديث يلذّ لي ترديده مئة مرة، ما دام صدري يضيق به إن تركته مكتوماً. أعتقد أن ما سمعته مني يهمّك ويفرحك. والآن، الوداع، اذ عليّ أن أنصرف الى أمور ضروريّة.

المشهد السابع

ارنولف

أَرْنولْف : ماذا جرى ؟ إن هذا الشاب المغرور يصرّ على إزعاجي، ولا يدع لي وقتاً لأتنفّس. فكل الاحتياطات التي اتّخذتها لم تنفع لمنع دهائه هو العاشق المتيّم من إحباط خططي واحتياطاتي. فظهرتُ رغم نضوجي وخبرتي كالأبله المخدوع أمام ذكاء هذه الصبيّة البريئة وعاشقها الشاب المحتال. فقد مرّت عليّ عشرون سنة، وأنا أتأمّل كالفيلسوف في ما يلاقيه الأزواج المساكين من مصير كئيب، واستخلص العبر من قصصهم المشؤومة التي تتجدّد في حياة أكثر الأزواج حرصاً وحيطة. وعندما شئت ان أتزوّج بحثت عن الوسائل التي تقيني التعرّض الى الفضائح وتضمن لي الإبتعاد عن كل المعايب والمصائب. وخلتُ أني بما اكتسبته من خبرة سأصل الى شاطئ الأمان بلجوئي الى السياسة والحكمة فتحيد بي ظروفي ووعيي عن مصير العديد من الرجال الذين لا يلبثون رغم كل حذرهم أن ينضمّوا الى قافلة الأزواج المخدوعين، وأنا لا اريد أن أكون في عدادهم رغم ما أصبح لي من الخبرة خلال عشرين عاماً كما ذكرت، ورغم كل احتياطي وتبصّري. أكرّر أني أخشى أن أنضمّ الى

زمرة الأزواج التعساء المخدوعين. تبّاً لك ايها المصير الغاشم ان شئت ان تجعلني ممن يظنّون انهم ينعمون في جحيم الحب، اللّهمّ اذا استطاع هذا الشاب المغرور أن يسرق مني قلب حبيبتي. سأفعل المستحيل لأتجنّب هذه الكارثة الفظيعة التي قد تنزل بي إن تقاعست عن ردة فعل ضرورية تحتّم عليّ أن لا أتهاون في تفجيرها كالقنبلة بوجه هذا الغدّار المحتال لأمنعه من تنفيذ مؤامرته الدنيئة الهادفة الى انتزاع مالكة فؤادي من أعماق صدري.

المشهد الثامن

كريزالد وارنولف

كريزالْد : هل تريد ان تتعشّى قبل قيامنا بالنزهة المرغوبة ؟
أَرْنولْف : لا، انا صائم هذا المساء.
كريزالْد : وماذا دعاك الى هذه التقوى ؟
أَرْنولْف : أرجوك أن تعذرني لأني مشغول بأمور محرجة.
كريزالْد : أولا يتيسّر لك أن تحقق الزواج الذي تتوق اليه ؟
أَرْنولْف : اراك قلقاً بسبب مشاكلي، وهذا ما لا أريد أن يشغل بالك.
كريزالْد : يا الهي، ما أكثر أحزانك. ليتني أستطيع أن أخفّفها عنك. حقاً، ان صدري يضيق بما تلاقيه من مصاعب.
أَرْنولْف : مهما حدث لي أظل أقلّ غمّاً من سواي من الرجال الذين يتذمّرون من مزاحميهم على حب نسائهم.
كريزالْد : من الغريب أنك رغم وضوح الأمور تضطرب من سير هذه القضية، فتتوخّى السعادة والارتياح من خلال مشاكلك المعقّدة، فتتساهل مثلاً حيال الرجل البخيل والخشن والخبيث والمرائي والجبان، وتقف واجماً أمام المشقّات التي تعترض سبيل مشروع زواجك معتبراً أن مواقف الحياة كلها شريفة ما عدا حالة واحدة هي خيانة المرأة بإهمال زوجها وإنصرافها الى عشيقها. فلماذا تنظر هكذا بتشاؤم الى واقع الحال الذي لا ترى فيه أي ارتياح

أو إبتهاج. ولماذا تسودّ الدنيا في عينيك عندما تواجه شرّاً لا تستطيع تحاشيه. ولماذا تريد، عند الاقتران بامرأة تعجبك، أن تستحقّ الشكر والمديح على اختيارك شريكة حياتك اذا تبيّن لك عند الامتحان انها بسلوكها المنحرف ليست أهلاً لثقتك وتقديرك، وتلوم نفسك وانت غير مضطر الى تحمّل عار تهتكها. هيّا واجه الواقع برحابة صدر، وإن كان مرّاً، إذْ لا شيء في الدنيا مضمون العواقب. فالناس ينددون بالشرّ والفساد ويشفقون على من يتحمّل النتائج الوخيمة. ولكي يسلم الإنسان من شرك الأهواء واستهتار النزوات لا بد له من تجنّب الوقوع في مزالقها. فلا تَحْذُ حذوَ من لا يهمه في الحياة، إلا أباطيل الدنيا وتوافه الأهواء، بل عليك أن تقدّر المودّة الصادقة المعتبرة من أثمن ما في الوجود، ولا تنجرفْ امام العواطف المتقلّبة التي لا تفضي إلّا الى الحسرة والندم. أنا، يا صديقي، لا أحبّذ نزوات العشاق ولا أشجّع الشباب المتهور المندفع وراء أحلامه الرخيصة وغرائزه البهيمية التي تجرّ عليه عواصف الحزن والشقاء. لأنه قصير النظر قليل الحرص سريع الانفعال. فالانسان العاقل هو من يتبصّر بعواقب الأمور ويتوخّى سلامة النتائج. وفي هذه الحالة ألوم تساهل الرجل الذي يحمّر خجلاً من تصرفات زوجته البذيئة. لذا أنصحك بأن تختار دائماً أهون الشرَّيْن وتلتزم جانب الإعتدال والحكمة.

أرْنولْف : بعد هذا الخطاب الرنّان، لا بد لي من أن أشكرك على صراحتك وصواب تفكيرك. لذلك أقول لك أني مسرور بما بيّنته لي من مكنونات صدرك وشرحته من همك بسبب المعاكسات التي تواجهها في قضية زواجك.

كريزالْد : انا لا أشكي همي جزافاً، بل أعرض لك ما يراود خاطري من هواجس في موضوع المرأة التي اريدها شريكة أمينة لحياتي، وأقارن اختيارها بحظ من يهمّ بالقاء زهر طاولة اللعب ولا يعرف ما تخبئه له الايام من نصيب. وهنا أتمنّى أن أكون موفّقاً في اتّخاذ قراري النهائي الذي أخشى أن يتحكّم فيه القدر الغاشم فلا أظفر بما اشتهي وأتوق الى الحصول عليه.

أرْنولْف : ما دمت تأكل وتشرب كما تشاء، عليك أن تُقنع نفسك بأن سائر الأمور ستسير ايضاً على ما يُرام.

كريزالْد : يمكنك أن تستخفّ بما يشغل بالي في هذا العالم المليء

بالمشاكل. فهذا لا يمنعني من التحسّب لإتّقاء ما لا تُحمَد عقباه. عليّ اذاً ان افكّر جدّياً في قضية زواجي، لا سيما بعدما لمسته من الخلافات المذهلة المتكرّرة يومياً بين المتزوّجين المحسودين على ما يظنه قصار النظر سائداً في الظاهر بينهم من تفاهم ومودة وأمانة. أنا لا أريد أن أتورّط في ما قد يكون مدعاة تعاستي، وأفضّل أن أتروّى لأحظى بامرأة عاقلة فاضلة كالملاك، لا أن تكون سفيهة خبيثة كالشيطان اللعين. أريد أن أقترن بفتاة رصينة وفيّة عفيفة نقيّة القلب، لا بدمية طائشة تنقاد الى إغراءات الشباب الأرعن فتجعل الحياة الزوجية جحيماً لا يُطاق. وهكذا، لأني لا أحبّ المغامرة، تجدني أبحث عن رفيقة تريح قلبي ولا تعذّبه بانحرافاتها الدنيئة وعنادها البغيض.

كريزالْد : لا تَكْفُرْ، يا صاح، بالقِيَم التي تَلْقاها حتماً عندما تبحث عنها بنور الوعي والتبصّر. فلم يخب ابداً أمل من اعتمد الاعتدال والسماحة في تصرفاته وقراراته.

أَرْنولْف : ولكنّ ما اخشاه في هذا الحال هو خداع المرأة المنافقة المرائية.

كريزالْد : ظنونك قتّالة كالمرض العضال. لا تنسَ ان في الدنيا نساءً صالحات. أراك تتغافل عنهن ولا ترى منهن سوى الحثالة. عليك أن تغيّر نظرتك المتحيّزة الى واقع الأمور.

أَرْنولْف : انا لا أحب التنكيت، ولا أودّ سماعه. فأرجوك ان تكفّ عن ترديده عليّ.

كريزالْد : لماذا غضبت ؟ هل لي أن أعرف ما السبب ؟ الوداع. عليّ أن أذهب. دع الوقت يساعدك على جلاء هذه المسألة التي لا تجد لها حلّاً مناسباً في ظروفك الحاضرة إلّا اذا انتزعت المنظار الأسود الذي يحجب عن عينيك رؤية الحقيقة المجرّدة.

أَرْنولْف : سأجتهد لألاقي علاجاً شافياً لهواجسي وحلاً ملائماً لمعضلتي.

المشهد التاسع

آلان وجورجيت وارنولف

يا صاحبايّ، أنا أطلب مساعدتكما لأني أثق بمهارتكما ومودتكما. غير أني في هذه المناسبة بحاجة الى التثبّت من إخلاصكما. كونا على يقين بأني لن أضيّع أجركما. أسألكما أن لا تثيرا ضجّة حول الشاب الذي أريد هذه الليلة أن أمسك به في حجرة أغني وهو مصمّم على دخولها خلسةً. نحن الثلاثة سننصب له كميناً، وعلى كلّ منكما أن يتسلّح بعصا، وعندما يصل الشاب الى آخر الدرج، ــ وقبلاً علينا أن نفتح له النافذة ــ أن تنهالا عليه ضرباً بشكل يجعل آثار العصيّ تظلّ بارزة على ظهره. فيكون له هذا التأديب خير عبرة كي لا يعود الى هنا. ولكن إياكما أن تأتيا على ذكري إن سُؤلتما في هذا الموضوع عن الدافع. وأنا من جهتي سأتجاهل الأمر تماماً. فهل أنتما على استعداد لتلبية طلبي ؟

آلان : اذا كانت الحاجة تقضي بضربه فقط، ثِقْ يا سيدي، بأننا كلانا لها. وسترى عندما أضربه أنا، مدى قوّة زندي.

جورْجيت : وزندي انا ايضاً، يا سيدي، وإن كان لا يدلّ على ما يتمتع به من القوة. فعند اللزوم ينقضّ كالمطرقة الثقيلة.

أَرْنولْف : أُدخلا الآن اذاً، ولا تفوها بكلمة. أرجو أن يلقّنه تدخّلنا درساً مفيداً. أنا على يقين، اذا استقبل جميع الأزواج في هذه المدينة عشّاق نسائهم بمثل هذه الحفاوة والترحاب، سيتوب معظم المتهتكين الماجنين.

الفصل الخامس

المشهد الأول

آلان وجورجيت وارنولف

أرْنولْف : ماذا حملكما على اللجوء الى هذا العنف ؟
آلان : لقد أطعنا أوامرك المشدّدة، يا سيدي.
أرْنولْف : كيف تتذرّعان بهذه الحجة الباطلة ؟ انا طلبتُ منكما أن تضرباه لا أن تقتلاه، وأن تنهال الضربات على ظهره لا على رأسه، وهدفي هو أن أضع حداً لعرقلته شؤون حياتي الخاصة. فبأية ورطة رماني الآن حظي العاثر اذ بلاني بكما ؟ وكيف يتسنّى لي أن ابرّئ نفسي من دم هذا القتيل الشاب ؟ هيا أدخلا الى المنزل وإياكما أن تتلفّظا بكلمة واحدة. لقد سألتكما ببراءة أن تؤدّباه فقط، وحين يأتي الصباح سأرى كيف أتدبّر الأمر واتلافى عاقبة هذه الكارثة. واسفاه، ماذا سيحلّ بي، وماذا سيقول والده عندما يبلغه نبأ نكبته بابنه ؟

المشهد الثاني

هوراس وارنولف

هوراس : يجب عليّ أن أذهب لأستطلع صدى الحادث.

أرْنولْف : لا أحد يعلم بما يخبّئه لنا الغد ... من القادم الى هنا ؟

هوراس : أهذا أنت، يا سيد أرنولف ؟

أرْنولْف : نعم، أنا. ولكن من أنت ؟

هوراس : أنا هوراس وقد جئت اليك لأرجو أن تُسْدي اليّ معروفاً. فوجدتك تخرج باكراً.

ارنولف (بصوت خافت) : ما هذا الاختلاط في الأمر ؟ هل في الأمر سحر أم سراب ووهم ؟

هوراس : كنتُ متضايقاً جداً، وأنا أشكر السماء على مصادفتك هكذا. أتيت لأخبرك بأن المسألة سارت على ما يرام اكثر ممّا كنت انتظر. لكن المفاجأة كادت تهدم كل ما بنيناه. لست أدري كيف أبدأ لأطلعك على المهمة التي كنت أقوم بها. فحين أوشكت أن أدخل من النافذة بوغتُّ بظهور أشخاص لم أكن أتوقع حضورهم في تلك اللحظة، رفعوا ايديهم وانهالوا عليّ ضرباً. فتعثّرتْ قدمي وسقطتُ على الأرض وأُصبتُ برضوض. وبعد تلقّي حوالي عشرين ضربة عصى نجوت بأعجوبة. وكان هؤلاء الأشخاص من جماعة مزاحمي على قلب الفتاة. وعندما ارتميت على الأرض تحت وطأة ضرباتهم المبرّحة، ظنوني قد فارقت الحياة. فما كان منهم إلّا أن انسحبوا وتفرّقوا، وساد الصمت بعد تواريهم عن الأنظار. وأخذ كل منهم يتهم رفيقه بالإمعان في استخدام العنف لتأديبي. ولما كان ظلام الليل لا يزال مخيّماً تلمّسوا جسمي ليتثبّتوا من موتي، والقلق يسيطر على تحرّكاتهم. فتظاهرت انا بالموت ولزمت الجمود. وبعد غيابهم حاولت أنا أيضاً أن انسحب من المكان. لكن أغني التي كادت تفقد رشدها دنت منّي لترى ما حلّ بي، ونظراً الى خلوّ الجوّ في تلك البرهة، هربتْ معي من المنزل، ولا أدري ماذا حطّمت أثناء استعجالها. ماذا أقول لك ؟ أخيراً أصغتْ الى النصائح التي أسديتها اليها أنا

حبيبها، فعدلتْ عن العودة الى مقرّها. وهكذا تلاحظ أنها أقدمت على مغامرة كانت جرّت عليها متاعب هي في غنى عنها، وأنا افضّل أن أموت، على أن أسبب لها أقلّ ازعاج. لأني احبّها بصدق من أعماق قلبي، وأودّ أن أقترن بها، واكرّس لها ايام عمري كلّها حتى الممات. مع أني اواجه معارضة وليّ أمرها الذي يقوم مقام والدها. وعليّ ان أصبر حتى أنال رضاه. فليس أمامي سوى القناعة. بما أنا حاصل عليه في الوقت الحاضر، وأن أظلّ اميناً على مودّتها حتى يتيسّر لي ان أحظى بها كزوجة حبيبة. قلْ لي، هل أستطيع ان أتّكل عليك لكي تأويها في منزلك يوماً أو يومَيْن ريثما أتمكّن من تنظيم أوضاعي وأجعل إحتفاظي بها في بيتي شرعياً في نظر القانون، واتجنّب الملاحقة. لأني مصمّم على اخفاء أمر هربها. وهكذا ستكون لك ابنة موقتاً لأُبعد عني جميع الشبهات. وبما أني إئتمنتك على سرّي هذا وقد عرفتك دائماً رجلاً مخلصاً ودوداً، ألجأ اليك واطلب مساعدتك في هذا المجال، واودع في بيتك حبيبة قلبي التي ستصبح قريباً جداً شريكة حياتي العزيزة.

أرْنولْف : انا مستعد لتأدية كل خدمة تلزمك لتأمين سعادتك.

هوراس : أحقّاً توافق على تلبية رغبتي ؟

أرْنولْف : بكل طيبة خاطر، وأنا مسرور جداً باغتنام هذه الفرصة السانحة لأبرهن لك عن صداقتي واخلاصي. فثق بأن ما تطلبه مني يسعدني أن أؤديّه لك راضياً.

هوراس : سأكون أسير فضلك ما حييت. ها قد بدّدتَ قلقي بحكمتك وطمأنت فكري بتفهّمك وضعي وحاجتي. ولا أُخفي عنك أن أحد انسبائي قد رافقها في قدومها الى أقرب زاوية من هذا الشارع.

أرْنولْف : لكن كيف العمل وقد سطع الآن نور الصباح ؟ فاذا جئتُ بها أنا الى هنا، ربما أبصرني بعض الناس. واذا ذهبتَ انت لتأتي بها سيتكلم من يشاهدك من الخدم. ولكي نكون في مأمن من كافة المخاطر، لا بدّ لنا من نقلها تحت جنح العتمة لنحجبها عن جميع الانظار. فما قولك ؟ أنا ماضٍ وسأنتظر أول مناسبة لنقلها الى المكان المتّفق عليه.

هوراس : في الواقع، هذه احتياطات ضرورية يتحتّم علينا أن لا نُغفلها. لأني

أفضّل ان اسلّمك إياها تسليم اليد، وأعود بكل هدوء وأمان الى منزلي، بدون أن يدري أحد بما جرى.

ارنولف (وحده) : ارجو أن تتمّ الأمور بشكل يرضي الجميع. (يخبّئ أنفه بمعطفه).

المشهد الثالث

اغني، وهوراس وارنولف.

هوراس : لا تقلقي سأصطحبك الى منزلٍ آمن بعد أن تمكثي عندي بعض الوقت. وإلّا هدمنا كل ما توفّقنا الى تحقيقه حتى الآن. أدخلي من هذا الباب ودَعيني أدلّك على غرفتك. (ويتناول ارنولف يدها بدون أن تعرف من هو).

أَغْني : لماذا تتركني وحدي ؟

هوراس : يجب عليّ أن أذهب، يا عزيزتي أغني.

أَغْني : لا تتأخرْ إذاً في الرجوع إليّ.

هوراس : أنا مستعجل اكثر منك، يشدّني اليك ما يختلج بين ضلوعي من شوق وحنين.

أَغْني : ثقْ بأني عندما لا أراكَ تجتاحني موجة من الحزن والقلق.

هوراس : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً، لأني، بعيداً عنك، لا أشعر إلّا بالاضطراب والخوف من فقدانك.

أَغْني : لو كان صحيحاً ما تقول لتوجّب عليك أن تظلّ بمعيّتي.

هوراس : ماذا تقولين ؟ هل تشكّين بصدق شغفي بك ؟

أَغْني : لا أشك بهيامك بي مطلقاً، لكنك لا تستطيع أن تحبّني بمقدار ما أنا أهواك. (يشدها أرنولف اليه) من يشدّني بهذه القوّة ؟

هوراس : لا تنسَيْ أننا نتعرض كلانا للخطر إن أبْصَرَنا أحدٌ معاً. فأنا أشدّك اليّ لكي أحميك من كل مكروه بقدر ما يمكنني أن أكون حريصاً على راحتك وسلامتك.

أَغْني : لكن كيف تريدني أن أتبع شخصاً مجهولاً ؟
هوراس : لا تخافي، يا عزيزتي، فأنت بين يدي من يفتديك بروحه.
أَغْني : أكون في حمىً آمن عندما أكون بين ذراعَيْ حبيبي هوراس فيطمئن قلبي ... (ويشدها ارنولف اليه مرة ثانية) إنتظرْ ...
هوراس : الوداع، فالنهار الطالع يضطرني الى مغادرتك.
أَغْني : متى يتسنى لي أن أشاهدك ثانيةً ؟
هوراس : قريباً جداً، إن شاء الله.
أَغْني : كم سينتابني من الضجر الى حين لقائك المرتقب.
هوراس : أشكر الله، لم تعدْ سعادتي تحت رحمة أي مزاحم لي على حبك، ويسعني الآن أن أرقد مِلْءَ جفنيّ بكل أمان واطمئنان.

المشهد الرابع

ارنولف، وأغني

ارنولف (يخبّئ انفه بمعطفه) : تعالي، فليس هنا أريد منك أن تمكثي. لأني أعددت لك مقرّاً انسب، أنا الآن ذاهب بك إليه. هل عرفتِني ؟
أغني (وقد عرفته) : أهذا أنتَ ؟
أَرْنولْف : هل أخافك وجهي، يا محتالة ؟ يحق لك ان تفزعي. فأنا جئت الى هنا مرغماً لأني عالم بأن تصرّفي يضايق حبّك. (تنظر أغني حولها لعلّها تبصر هوراس). لا تستدعي غريمي الشاب ليأتي الى نجدتك. فهو بعيد لا يستطيع الوصول اليك. اراك رغم حداثة سنّك قد احتلتِ عليّ، وبسذاجتك التي ليس لها مثيل، إذْ سألتِني إن كان الأطفال يأتون الى هذا العالم عن طريق الأُذُن التي نسمع بواسطتها، قد ضربتِ المواعيد اثناء الليل ولحقتِ بحبيبك بدون إحداث أية ضجة. كم آلمني ان أسمع ما وجّهته اليه من كلام حلو رقيق وكم جاملْتِه ولاطفْتِه. لا بد من أن تكوني قد تعلّمت كل هذه اللياقات واتقنْتِها في المدرسة التي تخرّجتِ منها بدراية واسعة ومهارة نادرة، قلّ أن تصدر عمّن

هي في مثل سنّك المبكرة، رغم قلّة خبرتك في الحياة. ولقد برهنتِ على أنك لا تهابين المخاطر ولا تتردّدين في الإقدام على أجرأ التصرفات في سبيل صيانة حبك له. وهذا اللعين المحتال لم يكفّ عن تشجيعك على التحرك اثناء الليل لينتزعك من كنفي ويحظى بغنجك ودلالك ويحتفظ لنفسه بلذّة التمتع برضاكِ وحبكِ الغاليَيْن.

أَغْني : لماذا تكلّمني بهذه اللهجة ؟

أَرْنولْف : فعلاً أنا مخطئ بحقّك اذ خصصتك بهذه المعاملة الرقيقة.

أَغْني : انا لا ارى ماذا فعلت من قبيح أو شاذٍّ في سلوكي معك.

أَرْنولْف : ألا تعتبرين اللحاق بعشيقك جريمة نكراء ؟

أَغْني : في الحقيقة، هذا الشاب الذي تصبّ عليه جام غضبك، لا يكلّ عن التصريح لي بأنه مصرّ على الإقتران بي. وأنا قد حفظت دروسك القيّمة حين أرشدتني الى وجوب الارتباط بوثاق الزواج لمحو كل خطيئة ناجمة عن أية مداعبة خارج نطاقه.

أَرْنولْف : لكني أنا الذي كنت أنوي الاقتران بك، ولقد أعلنت لك حبّي مراراً وتكراراً.

أَغْني : دعنا نتكلم بصراحة. هذا الشاب تنطبق أوصافه على ما اطلبه في شخص فتى أحلامي وشريك حياتي اكثر ممّا أجده فيك. أنت تنظر الى الزواج كورطة مزعجة عسيرة مقلقة. وكل ما حدّثتني به طبع في ذهني صورة قاتمة رهيبة عن الزواج كما تتصوره انت. بينما هو، كل ما حدّثني به يفوح منه شذى العطر المنبعث من مباهج الحياة الزوجية، يرغّب فيها المحبّين ولا ينفّر منها احداً.

أَرْنولْف : هذا اكبر دليل على أنك تهوينه كالعمياء، يا جاحدة، يا ناكرة الجميل.

أَغْني : أجل أنا أحبه وأهواه بكل جوارح مهجتي.

أَرْنولْف : وتجسرين ايضاً على إعلان غرامك أمامي.

أَغْني : ولماذا أخفيه عنك وأكتمه بين ضلوعي ما دمت أنا صادقة بشعوري نحوه.

أَرْنولْف : وهل أصبح حبه واجباً مفروضاً عليك، أيتها الوقحة ؟
أَغْني : أجل، لأنه ملأ شغاف قلبي وغمرني بسعادة لم أعرفها قبل أن أراه وأقع في هواه.
أَرْنولْف : كان عليك أن تطرديه من فؤادك.
أَغْني : وهل تريد أن أغلق قلبي دون عطفه عليّ، وأتّعامى عمّا يملأ به صدري بهجة وسروراً ؟
أَرْنولْف : أولا تعلمين أن هذا الميل اليه يغيظني لأنه أبغض ما في الدنيا لديّ ؟
أَغْني : وما دخلي أنا، كلّا ثم كلّا. لماذا يغضبك تصرفي على هذا النحو ؟ وماذا ترى فيه من شرّ يضيرني أو يلحق بسواي.
أَرْنولْف : هذا صحيح. اذا كان الأمر يفرحك، فهل عليّ أنا أن أكبت عواطفي نحوك ؟
أَغْني : عواطفك، وما هي علاقتي بمشاعرك ؟
أَرْنولْف : لماذا أشقى انا بصدّك ؟
أَغْني : يؤسفني ما تقول. ولكن، ما حيلتي وقلبي يهوى سواك ؟
أَرْنولْف : هل يحقّ لك ان تجرحي إحساسي وتدوسي شعوري نحوك ؟
أَغْني : أتريد مني أن ألجأ الى النفاق والخداع اذا رضيت بك ؟
أَرْنولْف : ولماذا لا تحبينني، يا آنستي الغبية ؟
أَغْني : يا إلهي. أنا لست مسؤولة ولا يقع عليّ أي لوم، اذا لم تعرف كيف تستهويني. فأنا لم أمنعك عن استمالتي اليك، على ما أظنّ.
أَرْنولْف : لقد إجتهدتُ بكل ما لديّ من قدرة وخبرة. غير أن مساعيّ برمّتها ذهبت أدزاج الرياح وباءت بالفشل الذريع.
أَغْني : في الحقيقة، هو إذاً أدرى منك في الاستئثار بقلب المرأة، لأنه لم يتعب ابداً في استمالتي اليه.
أَرْنولْف : ما هذا الكلام الجسور القبيح الذي توجهينه اليّ ؟ أجدك تتحدّثين عن الهوى والغرام بطريقة سبقتِ فيها المتفلسفات من بنات جنسك، أيتها السفيهة الحمقاء. وأنت تظنين نفسك أنك أدرى من الرجال بقضايا العشق

والهيام. وقد نسيتِ كل ما بذلته أنا في سبيل تربيتك وإيوائك في داري طوال هذه السنين العديدة حتى بلغتِ ربيع صباكِ.

أَغْني : كلا، لم أنسَ ما قدّمته لي من عناية ورعاية. فعريس أحلامي سيسدّد لك كل ما انفقته عليّ الى الآن.

أَرْنولْف : وهل باستطاعته ان يلغي ما يتوجّب عليك نحوي من الشكر وعرفان الجميل ؟

أَغْني : لكلِ أمر حدود، أرجوك أن لا تتجاوزها.

أَرْنولْف : حتى ما تحمّلتُه من مشقّات في تربيتك والقيام بأودك منذ نعومة أظفارك ؟

أَغْني : لقد قمتَ بواجب إنساني إرتضيته لنفسك، وأنا لا أنكر أنك سهرت على تربيتي وتعليمي بأفضل الأساليب. لكن، هل هذا يجبرني على التغافل عن شباب حبيبي وحميد خصاله ولهفته عليّ، وعلى الالتزام بالتضحية بصباي وبميل قلبي، للقبول بشيبتك وضيق خُلُقِك وأنت في هذا العمر المتقدّم، كزوج بديل عنه ؟

أَرْنولْف : لا تتجاهلي عواطفي نحوك. هل هذا ما اقنعك به فتاكِ المغرور ؟

أَغْني : لا يسعني أن أتعامى عن الواقع الساطع كنور الشمس، لأفضّلك عليه، وأدفن ريعان صباي في أحضان كهولتك ؟

أَرْنولْف : أكاد أفقد صوابي عندما ألْمس وقاحته تتحدّى وضعي حيالك، وكم أودّ أن أصفعه لأرده الى صوابه.

أَغْني : يؤسفني أن تحقد عليه هكذا، وأنت أقدر منه في بعض الأحوال.

أَرْنولْف : كلمتك هذه الأخيرة تنتزع السلاح من يدي وتعيد الحنوّ والعطف الى فؤادي المشغوف بأنوثتكِ. وما عجبي إلّا من الرجال الذين يقعون مثلي في هوى صبية نظيرك. ويتقلّون على جمر صدّها. لأن هذا ضعف تفكير منهم لا يوصلهم الى مرامهم. ويؤسفني ان لا أتّعظ بما ينتهي اليه العديد من الأزواج حيال نساء لا يَنْسَجِمْنَ معهم على صعيد المشاعر غير المتبادلة والميول غير المتجاوبة بينهم. فيمسون كأنهم حيوانات ضارية تتهارش في اقفاص ضيّقة، بدون أن تُراعى حرمة إحساس أو رغبة. على كل حال، بما أني ادرك حرج وَضْعَيْنا نحن الاثنين لا يسع قلبي إلّا أن يلتمس منك أن تقدّري عواطفي

نحوك، وأن تراجعي حساباتك في الربح والخسارة، لعلّك تجدين في نفسك بعض الميل اليّ لقاء الحب الأعمى الذي أكنّه لك بدون أيّ تحفّظ.

أغْني : أنا لا أجد أحلى على قلبي من أن أراعي شعورك. لكني أتساءل كم من القهر والأسى سيكلّفني تفضيلي الإقتران بك والتعامي عن الشاب الذي استولى حبه على فؤادي.

أرْنولْف : يا عزيزتي، أنت قادرة على هذا الإختيار اذا شئت ان لا تدوسي قلبي. (يتنهّد) أصغي فقط الى تنهداتي كعاشق متيّم بهواك، وانظري الى عيوني التي لا ترى النور إلا من خلال بسمتك، واتركي هذا الشاب الوقح وتخلّي عمّا يقدّمه لك من حب طائش واقبلي بنضوجي وما يمكنني أن أغدقه عليك من مباهج الدنيا. أنت الآن في فورة الصبا تميلين الى ذاك الشاب الذي لا أرى فيه الكفاءة ليمتعك بأطاييب العيش وهناء البحبوحة. بينما أنا مستعد لأن أبذل الغالي والنفيس في سبيل رضاك وسعادتك سأدلّلك وأغنّجك وأقبّلك وأحتضنك وأنزّهك ولا افارقك ابداً. (على حدة) الى أين سيوصلني هيامي بها يا ترى ؟ (بصوت مرتفع) لا شيء يوازي ما أحفظه لك من الحب. أي برهان تريدين أن أقدّم لك على تعلّقي بشخصك الحبيب وتفانيّ في سبيل إعجابك، يا من جحدت فضلي ؟ هل تريدين مني أن أبكي متلهّفاً وأتوسّل اليك متضرّعاً ؟ هل يسرّك ويرضيكِ أن أتذلّل عند قدميك ؟ هل يروق لكِ أن انتف شعري وأن أقتل نفسي فداك. قولي لي : « نعم، أقبل بك زوجاً »، وأنا على أتمّ الاستعداد لأن أثبت لك ما يستعر في مهجتي من لهيب هواك.

أغْني : كفى، كفى. إعلم جيداً ان كل أحاديثك لا تهزّ قلبي، لأن هوراس بكلمتين فقط يؤثّر على عواطفي اكثر من كل عبارات خطاباتك الطويلة المملّة هذه.

أرْنولْف : لا طاقة لي على احتمال هذا التحدّي منك، لأنه يضرم نار غيرتي وغضبي عليه. فيحملني على متابعة جهودي للحصول على مبتغاي ولا تنسَيْ أني صعب المراس كالوحش المتمرّد. وسأسعى بكل ما أوتيت من قوة لمطاردتك اينما كنت وحيثما ذهبتِ. لأنك برفضك توسلاتي تخرجينني عن صبري وتعقّلي. وإلّا، لن يهدأ لي بال حتى أشاهدك تدخلين الدير لتترهّبي.

المشهد الخامس

آلان وارنولف

آلان : لا أفهم ما جرى، يا سيدي، وأتحيّر جداً كيف أن أغني وجثة الشاب الهامدة التي تركناها منطرحة على الأرض قد اختفتا معاً.

أرْنولْف : ها هي الفتاة في غرفتي، إذهب واحتجزها. وهكذا لن يستطيع المحتال أن يوافيها. لندعْه يبحثْ عنها. ولن تمضي مدة نصف ساعة فقط حتى أدبّر لها ملاذاً اميناً يحويها بحرص شديد. أجلبْ عربة واصطحبها، ولا تدعْ عينيك تفارقان شخصها ابداً. لعلّها بعد هذه العزلة تجد نفسها بعيدة عن محيطها فتملّ في عزلتها حبّ مزاحمي الشاب وتكفّ عن التعلّق به وانتظاره.

المشهد السادس

هوراس

هوراس : ها أنذا قد أتيت لأرى الحزن مرتسماً على وجنتيك. يا إلهي، هل تمكّن السيد ارنولف من ترسيخ شقائي ؟ وهل شاء مصيري المشؤوم ان يُنزل بي هذا الظلم الذي لا يطاق ويسلخني عن حبيبتي. لقد جاء أبي الى هنا متكبّداً مشقّات السفر، ورأيته عندما وطأت قدماه ارض هذا المكان، وعلمت ان سبب قدومه اليّ هو رغبته في أن يزفّني الى فتاة أخرى ويفرح بتحقيق هنائي كما يظن. فتصوّر كم سينتابه القلق والكدر أكثر مني، كما قلت بالأمس، وكم سيجتهد نسيبي أنْريك، طبعاً بالاشتراك مع والدي، جدّيّاً لهدم ما رسمته للتنعّم بحياتي كما يعجبني. إذْ إنهما يطلبان مني أن أقترن بابنته الوحيدة، ونا لا أريد أن أستمع الى هذا الكلام الذي يناقض رغبتي. فقد أتى والدي ليزورني ومن حديثه توقعت ما يزعجني ويغيظني. فأرجوك أن لا تكشف له عمّا اودعتك اياه من سرّي، ولا تعلمه بارتباطي الذي سيحزنه.

أستحلفك ان تشرح له وتحاول إقناعه بالعدول عن فكرته التي ترمي الى تزويجي فتاة غير التي اهواها.

أَرْنولْف : طبعاً سأسعى الى اقناعه بما تريد.

هوراس : إنصحه بالتريّث قليلاً واخدمني بذلك خدمة الصديق المخلص.

أَرْنولْف : لن أتأخر لحظة عن عمل ما تشاء، فاطمئن بالاً.

هوراس : اني أضع كل أملي وكل ثقتي في قدرتك على جعله يعدل عن فكرته.

أَرْنولْف : حسناً، لن أخيب ظنك فيّ.

هوراس : اني أوكل اليك أمر أبي. فقل له أن عمري ... ها هوذا، اني أبصره قادماً الينا ... هيّا أنصت الى الحجج التي يمكنني أن أزوّدك بها لهذه الغاية.

(يظل في زاوية من خشبة المسرح).

المشهد السابع

أنريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف.

أنريك (لكريزالد) : حالما شاهدتك، بدون أن يدلّني احد عليك، عرفت أنك قادم، ورأيت فيك ملامح اختك الحبيبة التي جعلتني مراسم الزواج في حينه قيّماً عليها. كم يكون سروري عظيماً لو تسنّى لي أن آتي بزوجتي الوفيّة لتفرح بلقائك ولقاء جميع الأهل بعد ألم الفراق الطويل. ولكن بما أن مصيرنا يحرمنا من مشاهدتها فيما بيننا هنا، علينا أن نكتفي بما بقي لي ولها من أثر وحيد بعد حبّنا الجارف هي ابنتنا الصبيّة. هذا حقاً دافع لا يستهان به يجعلني أميل الى تعزيز هذه الفتاة الغالية جداً على قلبي. ان اختيار ابن صديقي اورونت كعريس لها لهي بادرة سارّة بحدّ ذاتها. لكن المهمّ أن يعجبك هذا الاختيار كما يعجبني أنا.

كريزالْد : أكون قد أمتهنت هذا الاختيار إذا شككت بتفضيلك المحقّ.

ارنولف (لهوراس) : أجل سأخدمك بأفضل الوسائل.

هوراس : اذاً إغتنمْ هذه الفرصة الملائمة.
أَرْنولْف : لا يكنْ لك ادنى شك من هذا القبيل.
اورونت (**لارنولف**) : هذا العناق الحارّ يدلّ على حنوّ لا حدّ له.
أَرْنولْف : ان ابتهاجي عظيم بهذا اللقاء.
أُورونْتْ : هل تدري كيف جئتُ الى هنا ؟
أَرْنولْف : بغتةً بدون أن تعلمني، وأنا أعرف ما يدفعك الى المجيء إليّ.
أُورونْتْ : لا بد من أن تكون قد توقّعت هذا النبأ ...
أَرْنولْف : نعم.
أُورونْتْ : انا مسرور جداً بقدومك.
أَرْنولْف : ان ابنك يتشبّث بعزمه على إتمام هذا الزواج وقلبه المتيّم بالهوى لا يجد أي إزعاج في هذا الموضوع الدقيق. وقد طلب مني أن أحملك على تغيير فكرك وعدم معارضتك أمر زواجه هذا. لذا أنصحك بأن تكون راضياً على اختياره الفتاة التي تعجبه ويحبّها، وأن لا تصرّ على ممارسة سلطتك الأبوية في التأثير عليه للانقياد الى ما تراه أنت مناسباً له. فدعْ اذاً هذين الحبيبَيْن يحقّقا حلمهما الذهبي، لأن الواجب يقضي بأن نترك له حرية التصرّف في هذا المشروع الشخصي الجوهري.
هوراس : تبّاً لك من منافق دجّال.
كريزالْد : اذا كان حقاً قلبه ينفر من تدابيرك، فأنا أصرّ على عدم توسّل العنف، يا عزيزي، للوصول الى إخضاعه لمشيئتك. وأنا على يقين بأنه سينحاز الى رأيك راضياً.
أَرْنولْف : ماذا تقول ؟ هل تريد أن ينقاد الأب الى مشيئة ابنه، وأن يبدو ضعيف الارادة حيال رغبة هذا الابن ؟ متى كانت الأفضلية لانصياع الكبير الى أهواء الصغير ؟ ما أحلى ان نرى اليوم نظام القانون الطبيعي ينقلب رأساً على عقب. فينصاع من يعود اليه الأمر والنهي الى من يجب عليه أن يطيع وليّ امره. لا، لا، هذا صديقي، وعليّ أن أسانده، لأني اعتبر فوزه نصراً لي أنا ايضاً. فلقد وعد، وعليه ان يفي بوعده. ورأيي ان يكون حازماً في قراره. وعلى ولده أن يطيعه ولا يخرج عن تلبية طلبه.

أورونْتْ : هذا كلام معقول، وفي هذا المجال أؤكد لك أني سأسعى جاهداً لإقناعه بالامتثال لمشيئتي انا والده وولي نعمته.
كريزالد (**لارنولف**) : يدهشني هذا التفرّد والتسرّع في البتّ بارتباط كهذا، ولا أجد ما يدعو الى ذلك بمثل هذا الإصرار.
أَرْنولْف : أنا أعرف ماذا أفعل، وأقول ما يجب عليّ أن لا أصمت عنه.
أورونْتْ : نعم، نعم. يا سيد أرنولف، لقد ...
كريزالْد : هذا الاسم يزعجه، وعليك أن تدعوه السيد دي لا سوش، كما قيل لك سابقاً.
أَرْنولْف : هذا لا يهمني كثيراً.
هوراس : ماذا تقول ؟
ارنولف (**يلتفت الى هوراس**) : أجل، هذا هو الخلاف. ولك أن تحكم على ما كان يتحتّم عليّ أن أفعله في هذا الموقف المحيّر.
هوراس : ما الذي يضايقك ؟

المشهد الثامن

جورجيت وانريك واورونت وكريزالد وهوراس وارنولف

جورْجيت : ان لم تكن حاضراً، يا سيدي، سنلاقي صعوبات كثيرة في إبقاء أغني هناك. لأنها مصمّمة على الهرب مهما كلفها الأمر. وربما ألقت بنفسها من النافذة.
أَرْنولْف : جيئوا بها اليّ، فأنا استطيع أن أمنعها. (لهوراس) لا تحزن، يا صاح، ولا تكره أمراً لعله خير لك، كما يقول المثل، فكل إنسان ينال ما كُتب له من نصيب.
هوراس : ليس من مصيبة يمكنها أن تضاهي مشكلتي. وهل في الدنيا من هو مثلي وصل الى قعر الهاوية حيث تدهورت انا الآن.

ارنولف (لأوروُنت) : عجّل في إجراء مراسم الحفلة لكي أشترك فيها. وسأكون أو من يلبّي الدعوة.
أوروُنتْ : هذا هو لسان حالي أنا أيضاً.

المشهد العاشر

أغني وآلان وجورجيت واورونت وانريك وازنولف وهوراس وكريزالد.

أَرْنولْف : تعالي، أيتها الحسناء، تعالي. انتِ الثائرة التي لا يستطيع أحد أن يثنيك عن اندفاعكِ. هذا هو الشاب الذي تعشقينه وبوسعك أن تحبّيه وتبتسمي له وتقبّليه مكافأة على تشبثه بهواك. الوداع، فالواقع يخالف قليلاً آمالك وأمانيكِ. واعلمي أن لا سبيل الى إرضاء جميع العشاق ولا كل الناس.
أغْني : هل تقبل، يا هوراس، ان اكون هكذا من نصيب سواك ؟
أَرْنولْف : هيا بنا، أيتها الثرثارة.
أغْني : اريد أن أبقى هنا.
أوروُنتْ : قولي لنا : ما هو هذا السرّ الغريب ؟ فإننا ننظر جميعنا بعضنا الى بعض ولا ندرك كنه ما يدور الآن حولنا.
أَرْنولْف : اذا سمحتم، يسعني أن أشرح الموقف لكم. الى اللقاء.
أوروُنتْ : الى أين تنوي الذهاب ؟ أنتَ لا توضح لنا مقصدك كما يجب.
أَرْنولْف : لقد نصحتك رغم كل معارضته بأن تُتمّم مراسم الزواج بدون تأخير.
أوروُنتْ : نعم، ولكن لإتمامها، ألا تعلم أن الفتاة المرغوبة هي الآن عندك ؟ أمّا الفتاة الاخرى التي تُدعى انجيليك فهي في الحقيقة إبنة السيد انريك. اذاً لا أجد أن حديثك يرتكز على أي أساس معقول.
كريزالْد : لقد تعجّبت لدى مشاهدة طريقته في التنفيذ.
أَرْنولْف : تنفيذ ماذا ؟

كريزالْد : الزواج السرّي الذي أسفر عن ولادة ابنة كُتِم أمر وجودها عن الاسرة بكاملها حتى الآن.
أورونْتْ : وقد عاشت بإسم مستعار، لكي لا يكتشف الأمر أبوها، وقد أُرسِلَتْ الى الحقول لتربى هناك. فلما عاكس حظها العاثر ظروفها التعيسة، جرى إبعادها عن مسقط رأسها.
أورونْتْ : لكي تواجه مشاكل لا تُحصى في تلك البلاد النائية التي تفصل بين مقرَّيْها البراري والبحور.
كريزالْد : وهناك قيّض الله لها من إهتمّ بتربيتها ورعايتها.
أورونْتْ : وعند عودة الوالد الى فرنسا بحث عن ابنته حتى اهتدى الى من تولّى امر حضانتها.
كريزالْد : وأعلمتْنا إحدى الفلّاحات بصراحة أنها تُركتْ عندك وديعةً معزّزة مُكرّمة.
أورونْتْ : ولمّا كانت في حالة فقر يرثى لها، عُهدت الى رعايتك في بيتك نظراً الى ما عُرفتَ به من حبّ البرّ والاحسان.
كريزالْد : واستناداً الى ما يتحلّى به من رحابة الصدر وعلو الهمّة والميل الى عمل الخير، أوصل الفتاة الى ما هي عليه اليوم.
أورونْتْ : وستراها الآن عندما تأتي الى هنا وتوضح أمامنا سرّها الدفين.
كريزالْد : انا اقدّر مدى حزنك لما جرى. لكن حُسْن حظك سيبيّن لنا كم هي سعيدة بأن تقول لك : إن شئت ان لا تكون مخدوعاً عليك أن تُبعد عنك فكرة الزواج وتتخلى عنها نهائياً.
ارنولف (**يخرج وهو في غاية التأثر لا يقوى على الكلام**) : آه، ثم آه.
أورونْتْ : لماذا هرب بدون أن يفوه بكلمة واحدة.
هوراس : يا أبي، ستطّلع على هذا السرّ العجيب بكامل تفاصيله. فقد شاء القدر أن تجري الأحداث كما توقّعتْه حكمتك. وتطلّعتْ اليه بصيرتك. فأنا قد ارتبطْتُ بعهد حيال هذه الصبية اللطيفة. فقادتني بكلمة الى ما جئت تبحث عنه، ولأجلها قد أُزعجك بالفعل رفضي التنازل عن حبّها كما تشاء ...
أنْريك : انا لا أشك أوّلاً بأني رأيتها بأمّ عيني، ومنذ تلك اللحظة شعرت

بالاضطراب يتغلغل الى أعماق نفسي. فيا بنيّتي، أنا لا أعرف كيف أعبّر لك عن شدة سروري وابتهاجي بالتعرّف اليك كشريكة حياة ابني هوراس.

كريزالْد : كنت شاركتك فرحك، يا عزيزتي، لو ساعد هذا المكان على ذلك. تعالوا نذهب الى البيت لإجلاء هذا السرّ العويص. ثم نفي حقّ صديقنا على ما قام به من خدمات جليلة، ونشكر السماء التي تحلّ المعضلات الشائكة على أفضل الصور وبأَوْلى الوسائل التي تُرضي الجميع.

(**تمّت**)